الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الثالثة والثلاثون
جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ - شباط/ فبراير ٢٠١٩م

العدد
٣٨٩

كلمة الوعي

خفايا الدستور السوري الجديد

أميركا تستبيح العالم للمحافظة على هيمنتها الدولية ص ١٠
مشروع الغرب الحاقد لتمزيق الأمة عرقيًا وطائفيًا مآله الفشل!! ص ١٦
فصل الكلام في مشروعية الحكام ص ٣٣

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة الوعي: خفايا الدستور السوري الجديد ٣
- أميركا تستبيح العالم للمحافظة على هيمنتها الدولية ١٠
- مشروع الغرب الحاقد لتمزيق الأمةِ عرقيًا وطائفيًا مآله الفشل!! ١٦
- كتاب الدولة المستحيلة: نظرة نقدية لطرح استشراقي ٢٢
- كذبة شقاء الأمة بالسياسة ٢٦
- الخلافة الراشدة على منهاج النبوة:
  هل آن أوانها، وآذن فجرها بالبلج؟! ٣٠
- فصل الكلام في مشروعية الحكام (١) ٣٣
- أخبار المسلمين في العالم ٣٩
- مع القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ ٤٢
- رياض الجنة: «أفلح إن صدق» ٤٧
- فبهداهم اقتده: عُقبةُ بنُ عَامر الجُهني ٤٨
- كلمة أخيرة:
  دونالد ترامب ينقل معاركه إلى الفضاء بإعلان "حرب النجوم" ٥١

العدد ٣٨٩
السنة الثالثة والثلاثون
جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ
شباط/فبراير ٢٠١٩م

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

خفايا الدستور السوري الجديد

عبد الكريم أبو مصعب

يشكل الدستور السوري اليوم الشغل الشاغل للغرب في مؤتمراته التفاوضية من جنيف إلى سوتشي وآستانة بعد السنوات العجاف التي عاشتها سورية وما تزال. فما هو تاريخ الدستور السوري؟، وما هي أهم التعديلات المراد وضعها؟ ولماذا في هذا الوقت بعد ثورة عارمة سالت فيها حمامات الدماء في جميع أنحاء سورية، وبذلت التضحيات الكبيرة التي تستهدف النظام كله، وليس الدستور وحده؟!.

فبعد الحرب العالمية الأولى دخل الأمير فيصل بن الحسين إلى سوريا عام ١٩١٨م، وبعد معرفته أن سوريا من حصة الفرنسيين حسب (سايكس-بيكو) حاول الأمير عقد مؤتمر سمي بالمؤتمر السوري العام، ضم قرابة تسعين مندوبًا تم انتخابهم من قبل ناخبي الدرجة الأولى حسب النظام العثماني عام ١٩١٩م، وانتخب محمد فوزي باشا العظم رئيسًا له، وبعد أن توفي تولى هاشم الأتاسي رئاسة المؤتمر، وقد أعلن هذا المؤتمر استقلال سوريا العربية تحت اسم المملكة السورية العربية في ٨/آذار/١٩٢٠م وتتويج الأمير فيصل بن الحسين ملكًا عليها، فاقترح فيصل تشكيل لجنة لوضع الدستور تألفت من عشرين عضوًا، ووضع أول دستور مؤلف من ١٤٧ مادة، وصدر رسميًا في ١٣/تموز/١٩٢٠م تحت اسم القانون الأساسي، وتعتبر البلاد ملكية دستورية مدنية، لا مركزية الإدارة، وتكفل الحريات السياسية والاقتصادية، وحقوق الطوائف الدينية، فلم يعترف الحلفاء بالكيان الجديد، ونظرة فرنسا إلى فيصل بوصفة (حليف بريطانية) دفعت إلى نفيه وحل المملكة في ٢٨/تموز/١٩٢٠م بعد ثلاثة أيام من معركة ميسلون، واحتلال الفرنسيين دمشق في ٢٥/تموز/١٩٢٠م، فدخلت سوريا مرحلة الانتداب.

ثم تمخض عن الثورة السورية الكبرى انتخابات الجمعية التأسيسية التي شكلت لجنة الدستور برئاسة إبراهيم هنانو، وتألفت من سبعة وعشرين عضوًا، وكلف فوزي العنزي بإعداد الدستور، فاستند إلى الدستور الفرنسي لعام ١٨٧٥م، ووضع الدستور عام ١٩٣٠م، الذي أعلنت

بموجبة الجمهورية السورية الأولى، وبسبب توالي الأحداث حتى الحرب العالمية الثانية أدت إلى توقيف العمل بالدستور، وإعادة البلاد إلى الحكم المباشر، بعد الحرب العالمية الثانية، وانتفاضة الاستقلال التي دفعت نحو جلاء الفرنسيين عن كامل التراب السوري؛ ولكن المفوض السامي الفرنسي كان يقيم في بيروت وله صلاحيات مطلقة.

وطبعا تم الاعتراض من قبل الفرنسيين على بعض المواد التي تعبر عن استقلال سوريا، وأصرت فرنسا على إلغاء تلك المواد، وأخذ الأمر جدلًا طويلًا. وفي عام ١٩٤٣م، وبعد مباحثات بين الجنرال جورج كاترو والحكومة السورية تم الاتفاق على نقل صلاحيات السلطة الفرنسية إلى الحكومة السورية، ثم جرت انتخابات نيابية جديدة، وأعيد العمل بالدستور مع إلغاء المادة ١١٦ المتضمنة صلاحيات سلطة الانتداب. ومع خروج الفرنسيين في ١٧/نيسان/١٩٤٦م دخلت سوريا في مرحلة الانقلابات،

ومع أول انقلاب عسكري ٣٠/آذار/١٩٤٩م بقيادة حسني الزعيم، قام بتعطيل الدستور، وإجراء استفتاء شعبي لتنصيب رئيس الجمهورية، وتخويله وضع دستور جديد؛ فشكَّل لجنة من سبعة أعضاء لصياغة الدستور بأخذ النظام البرلماني مع صلاحيات كبيرة للسلطة التنفيذية (ممثلة برئيس الجمهورية) على حساب سلطة المجلس. وفي ١٤/كانون أول/١٩٤٩م، حدث انقلاب عسكري بقيادة سامي الحناوي نجم عنه تعيين هاشم الأتاسي رئيسًا للدولة، وصلاحية العمل بالدستور ١٩٣٠م لحين صياغة الدستور الجديد. وفي ١٩/كانون الأول/١٩٤٩م، أي بعد خمسة أيام من استلام هاشم الأتاسي، وقع انقلاب أديب الشيشكلي الأول، واستمر في وضع الدستور الذي نوقش واعتمد في ٥/أيلول/١٩٥٠م، ويتألف من ١٦٦ مادة بعد طي ١١ مادة مختلف عليها، وقد اتسم هذا الدستور بالليبرالية في مجال الاقتصاد. وبعد انقلاب أديب الثاني ١٩٥١م، وافق على الدستور الذي يقيم نظامًا رئاسيًا، وكان يشبه النظام المعمول به في الولايات المتحدة، وفي ٢٥/شباط/١٩٥٤م، خلع الشيشكلي واستلم هاشم الأتاسي رئاسة الدولة، وأرجع العمل بدستور ١٩٥٠م.

ثم جاء دستور الوحدة مع مصر ١٩٥٨م المؤلف من ٧٣ مادة ليرجع صلاحيات رئيس الجمهورية الكبيرة، وتلاه دستور الانفصال ١٩٦١م بعد انقلاب عسكري بقيادة عبدا لكريم النحلاوي، وتم انتخاب المجلس التأسيسي والنيابي مهمته وضع دستور دائم. وبعد انتخاب ناظم القدسي رئيسًا للجمهورية، أعاد العمل بدستور ١٩٥٠م مع بعض التعديلات، أهمها تخويل رئيس الجمهورية بحق حل المجلس النيابي، ومنع السلطة التنفيذية إصدار مراسيم تشريعية. وفي ١٩٦٤م، وقع انقلاب عسكري بقيادة ضباط حزب البعث وتم وضع دستور مؤقت. وفي ٢٣/

شباط/١٩٦٦م، وقع انقلاب أطاح بالحكومة التي عينتها القيادة القومية، ووقتها صعد حافظ أسد ليصبح وزيرًا للدفاع. وعام ١٩٧٠م أصبح رئيسًا للجمهورية، وتم وضع دستور الجمهورية العربية السورية ١٩٧٣م، وتخلَّله تعديلين في عام ١٩٨٠م، وفي عام ٢٠٠٠م؛ ليتيح لبشار أسد استلام الحكم، ثم أجري آخر تعديل عام ٢٠١٢م. وبقي ساريًا حتى دخول الثورة السورية، أو ما سمي بـ (الربيع العربي).

ويلاحظ أنه في كل مراحل تغير الدستور كان يتأرجح بين إملاءات أوروبية وأخرى أميركية وبين تفعيل السلطة البرلمانية، أو وضع جميع الصلاحيات لصالح رئيس الجمهورية، ولم يختلف أي عضو كان قد رشح للجنة وضع الدستور بأن يدرج ولو للنقاش مثلًا الدستور العثماني أو تحكيم الشريعة أو أي شيء من هذا القبيل، وهذا يدل على العناية الفائقة لاختيار لجان وضع الدستور.

وجاءت مرحلة الثورة، ومع أن سوريا لم يحدث فيها صراع دولي، والدستور كان على هوى الولايات المتحدة الأميركية بحكم تبعية النظام لها سياسيًا، وهذا لا يحتاج إلى دليل عليه، إلا أنه الآن يتم إيعاز من الولايات المتحدة الأميركية إلى روسيا لوضع مشروع دستور جديد. فما هي النقاط التي سوف يتم تعديلها في الدستور أو استبداله بدستور جديد ليخدم مصالح الدول الغربية مستقبلًا، وبالدرجة الأولى أميركا؟؟

ابتداء، تم تشكيل لجنة وضع الدستور، وحددت النسب ٥٠٪ من النظام و٣٠٪ من المعارضة، و٢٠٪ خبراء دوليين. وكان الاقتراح الأخير في هذا المجال: ٥٠ عضوًا من النظام و ٥٠ عضوًا من المعارضة الداخلية، و ٥٠ من المعارضة الخارجية، وأيضًا خبراء دوليين. من هذا التوزيع، ومهما اختلفت الاقتراحات، يتضح على أي شكل يجب أن يوضع الدستور، وهو بإملاء أميركي، ومفروض على الشعب قبوله، ولن يستشار فيه رغم معاناتهم لسبع سنوات عجاف، لم يغادر فيه الحظيرة الغربية؛ وذلك لأسباب كثيرة منها: عدم وضوح الفكرة، وعدم الثبات على مبدأ، والمال السياسي، وكثرة الخونة، وغيرها كثير.

طبعًا هم يعلمون أنه يجب وضع شكل الحكم قبل وضع الدستور، أو تعديله، ولكنهم فرضوا أن يتم القبول بدستور جديد هو الذي يحدد شكل نظام الحكم، وآلية الإصلاح السياسي والإداري، على أن تقوم فئة محايدة بالإشراف على انتخابات حرة ونزيهة على حد قولهم.

وأعلنت الأمم المتحدة وروسيا وتركيا وإيران الثلاثاء ٢٠١٨/١٢/١٨م أنها ستضاعف الجهود لتنظيم أول اجتماع للجنة الدستورية المكلفة بإعداد دستور جديد لسوريا مطلع العام المقبل في جنيف.

وقال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في بيان ألقاه نيابة عن الدول الضامنة لاتفاق أستانا-إن المشاركين «اتفقوا على بذل جهود للدعوة إلى أول جلسة للجنة الدستورية في جنيف مطلع العام المقبل». وقال روبرت بالادينو المتحدّث باسم الخارجية الأميركية للصحفيين في واشنطن: «إنشاء لجنة دستورية تتمتّع بالمصداقية ومتوازنة سيكون خطوة هامة نحو نزع فتيل التصعيد بشكل دائم، وإيجاد حلّ سياسي لهذا النزاع».

إن مسودة دستور سوري قيل على أنه صيغ في روسيا، والأرجح بأن صياغته تمت بموافقة أميركية، أي أن المسودة روسية أميركية، وسبب نشر هذه المسودة كان كما قيل من قبل جهات عديدة هو «جس النبض». لقد تم جس النبض، والآن ستأتي مسودة أممية مصدرها الأمم المتحدة، وحسب تقييمنا ستكون نسخة طبق الأصل عن المسودة السابقة، وأهم نقاط الدستور السوري الجديد، ومسودته:

- شطب اسم «الجمهورية العربية السورية»، واستبداله بـ «الجمهورية السورية».

- لم يعد الفقه الإسلامي مصدرًا للتشريع بعد إلغاء الفقرة التي كانت تنص على ذلك.

- عدم تحديد ديانة الرئيس بعد إلغاء المادة التي كانت تحدد ديانة الرئيس بالإسلام.

- اللغتان العربية والكردية متساويتان في مناطق الحكم الذاتي الثقافي الكردي، ويحق لكل منطقة وفقًا للقانون أن تستخدم بالإضافة إلى اللغة الرسمية لغة أكثرية السكان إن كان موافقًا عليها.

- تطبيق مبدأ «لا مركزية السلطات»... واستبدال «جمعية المناطق»، بدلًا عن «الادارات المحلية» في شكلها الحالي بصلاحيات موسعة تقيّد مركزية السلطات.

- استبدال تسمية «جمعية الشعب» بدلًا عن تسمية «مجلس الشعب».

- تتولى جمعية المناطق السلطة التشريعية في البلاد وتتكون من «ممثلي الوحدات الإدارية»، وينعقد مجلسها على نحو منفرد عن «مجلس الشعب»، ويجوز لها عقد جلسة عامة للانتخاب والاستماع إلى رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية.

- يجوز لجمعية المناطق إحالة مشاريع القوانين إلى جمعية الشعب للنظر فيها.
- يحق لمجلس الشعب تعيين أعضاء المحكمة الدستورية العليا (من صلاحيات الرئيس في الدستور الحالي)، وتعيين رئيس «البنك الوطني» (تغيير اسم «البنك المركزي») وإقالته من المنصب.

- يشترط للترشح لرئاسة الجمهورية أن يكون المرشح قد أتم الأربعين عامًا من عمره، وأن يكون متمتعًا بالجنسية السورية، أي شُطبت عبارة إضافية من الدستور السابق وشطبت بأنه يجب أيضًا أن يكون من «أبوين متمتعين بالجنسية السورية بالولادة»، وأن «لا يكون متزوجًا من غير سورية».

- وينتخب الرئيس، لمدة سبعة أعوام، ولا يجوز إعادة انتخاب الشخص نفسه إلا لولاية واحدة تالية. ويؤدي الرئيس المنتخب القسم الدستوري أمام أعضاء جمعيتي الشعب والمناطق.

- يتولى الرئيس مهمة الوساطة بين سلطات الدولة وبين «الدولة والمجتمع»... ولا يلحظ المشروع أي سلطات تشريعية للرئيس.

- في حين تخضع له القوات المسلحة ويتولى مهمات القائد الأعلى للقوات المسلحة... وفي حال العدوان أو الخطر بالعدوان يحقّ له اتخاذ الإجراءات للتصدي له و»يبلغ بها جمعيتي الشعب والمناطق...».

- كما يحق له إعلان التعبئة العامة، وُيطرح إلى جمعية المناطق الموافقة على إعلانها... كما يحق له إعلان حالة الطوارئ «بالموافقة المسبقة لجمعية المناطق».

- تتولى جمعية المناطق مهمات رئيس الجمهورية في حال الشغور الرئاسي أو عجز الرئيس عن تأدية مهماته، بعد إثبات عجز رئيس مجلس الوزراء أيضًا عن ذلك.

- تعيين مناصب نواب رئيس مجلس الوزراء والوزراء يكون «تمسّكًا بالتمثيل النسبي لجميع الأطياف الطائفية والقومية لسكان سوريا، وتُحجز بعض المناصب للأقليات القومية والطائفية».

- يحق للحكومة، في صلاحيات إضافية عن الدستور الساري، «عقد معاهدات واتفاقيات تعطي الشركات الأجنبية حق الامتياز، والاتفاقيات التي تقصد نفقات إضافية غير منصوص عليها في الموازنة.

- يحق لثلث أعضاء جمعية المناطق طرح حجب الثقة عن الحكومة مثل «جمعية الشعب». كما يحق للجمعيتين في «جلستهما المشتركة» حجب الثقة عن الحكومة بأغلبية أصوات الحاضرين.

المحكمة الدستورية العليا:

- تتألف المحكمة الدستورية العليا من ١١ عضوًا بدلًا من ٧ «تعيّنهم جمعية المناطق»، بعدما كان يسميهم رئيس الجمهورية بمرسوم.

-تبقى التشريعات الصادرة سابقًا سارية المفعول إلى أن تعدل بما يتوافق مع أحكام «الدستور

الجديد»، على أن يجري التعديل خلال سنة واحدة منذ تبني الدستور.

دور القوات المسلحة:

- القوات المسلحة «تكون تحت الرقابة من قبل المجتمع، ولا تتدخل في مجال المصالح السياسية ولا تؤدي دورًا في عملية انتقال السلطة» ويحرم تنظيم أعمال عسكرية، أو ذات طابع عسكري خارج سلطة الدولة.

أما في الدستور الساري، فدور الجيش والقوات المسلحة هو «الدفاع عن سلامة أرض الوطن وسيادته الإقليمية»...

- تم تغيير القسم الدستوري حيث تم إسقاط القسم بلفظ الجلالة، أو أي إشارة «قومية عربية» أو «اشتراكية» ليكون: «أقسم أن ألتزم بدستور البلاد وقوانينها، وأن أحترم وأحمي حقوق وحريات الإنسان والمواطن، وأن أدافع عن سيادة الوطن واستقلاله وسلامة أرضه، وأن أتصرّف دائمًا وفقًا لمصالح الشعب».

- يظهر «المشروع» نزوعًا كبيرًا نحو الاقتصاد الحر، بتأكيد إحدى المواد أن سوريا تُؤمّن «حرية النشاط الاقتصادي، وتعترف بالملكية الخاصة... وتخلق الدولة على أساس علاقات السوق ظروفًا لتطوير الاقتصاد، وتضمن حرية الأعمال... وتضمن حرية تنقل البضائع والرساميل... وأن الموارد الطبيعية يمتلكها الشعب»

إن أهم التعديلات التي فرضت على الدستور تدل بشكل واضح عن تطلعات الغرب (أميركا) لمستقبل سوريا، و نجد أنها جميعها تؤسس إلى أمرين أساسيين هما: بنية طائفية معززة بسلطة، وقابلية لتقسيم البلاد بأسرع وقت ممكن وأسهل طريقة دستورية.

وتتيح أمورًا تساعد في تنفيذ هذين الأمرين بحيث إن الدولة أخرجت من إسلاميتها وعربيتها، وأن الرئيس ليس له صلاحيات كبيرة؛ مما يتيح عمليات تغير السلطة بشكل أسهل، وأيضًا السماح لمن هم سوريين من الخارج (تربية غربية) باستلام الحكم، وأيضا التغير بين مسميين (مجلس وجمعية) فهي تتيح التقسيم. فالمجلس هو يمثل الدولة بأشخاص من كل المناطق، أما الجمعية فهي مناطق مجتمعة لتشكل جمعية، أي إذا سوِّق للتقسيم فقط تنفصل هذه المناطق عن الجمعية وكل منطقة تمثل نفسها دستوريًا، وهذا أمر خطير جدًا.

إذًا، بعد أن تم تغيير مسار الثورة، ونقلها من صراع حول تغيير النظام إلى صراع حول السلطة مع النظام، واستغل الغرب الجهل السياسي والخونة والنظام لتشكيل الدولة على هوى مصالحه بحيث متى شاء هو يستطيع بكل سهولة تقسيم البلاد، وهذا يعني تقسيم مواردها وجيشها

وإمكانياتها، ويستطيع إشعال الطائفية متى أحبَّ؛ لأنه في الأصل دعم مفاصلها، وجعل لها كينونة واضحة لها في الدستور.

لذلك نهيب بأبناء شعبنا أن لا يستسلموا لما يحيك الغرب لنا، وأن لا يسلموا دفة هذه البلاد إلى من هم خونة أولًا، وليس لديهم فكر سياسي أصلًا، وإنما هم أحجار يتلاعب بها المجتمع الغربي، ويهدد بهم كياننا كأمة ووحدة أراضينا وسلامة معتقدنا الذي لم يستطع عبر مئة عام أن يلغيه أو يغيره، فيلجأ عبر هؤلاء الخونة وعبر ما يسنه أن يغير ما يريد أن يغيره، رويدًا رويدًا.

أيها المسلمون، إن ما يحدث في سوريا اليوم هو نفس الأمر الذي سوف يحدث في جميع دولنا، وإن فكرة تقسيم منطقتنا إلى كانتونات صغيرة غير قادرة على الوقوف منفردة دون الحاجة إلى يد العون الخارجية، هو مخطط تسعى له القوى الغربية لتبقى مناطقنا بمواردها تحت سيطرتهم اليوم، وغدًا، وبعد غد... وهذا يوجب علينا أن لا نستسلم لخططهم، وأن الخطة البديلة لنا التي يجب العمل عليها وتبنيها، هي عكس ما يقوم به الغرب. ويوجب علينا أن نتوحد على مبدئنا وديننا وعقيدتنا، وأن نسعى إلى دعم ومساندة من يحملون هذا التوجه، أي العودة إلى دولتنا التي غيَّبها الغرب، وحرَّم علينا أن نتحاكم عبر تغييبها لديننا ولمنهجنا الرباني منذ١٩٢٤م، حتى غاب عن أذهاننا أننا نملك دستورًا ربانيًا متكاملًا، يصلح لكل زمان ومكان.

لذلك نحن اليوم نمر بمرحلة الحكم الجبري التي ذكرها رسولنا الكريم، وستأتي بعدها بشراه لنا **الخلافة على منهاج النبوة**.

روى الإمام أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ الله أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ،ُثمَّ سَكَتَ**».

فيا أبناء هذه الأمة المعطاءة، هبُّوا إلى مساندة **حزب التحرير**، وغذو السير معه، فهو الوحيد الذي يعمل لإعادة دولة الخلافة منذ١٩٥٣م، وله دستور مستنبط من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، ولنعِد عزنا وأمجادنا باستئناف الحياة الإسلامية لنرضي ربنا، ولنحافظ على ديننا ووحدتنا وعلى الأجيال القادمة، وأن لانفرط بالدماء الزكية التي سكبت، ولنكن نحن من يخلص العالم من هذا النظام الرأسمالي الجشع، ونخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام. قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٥٠﴾■

أميركا تستبيح العالم للمحافظة على هيمنتها الدولية

حمد طبيب- بيت المقدس

لقد جلست أميركا، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، على عرش الهيمنة العالمية دون منافس مؤثر، وصارت تقوم بسَوق العالم أمامها بالعصا الغليظة، من أجل خدمة سياساتها ومصالحها الإمبريالية، وتتحكم باقتصاديات العالم أجمع؛ عبر طريق ممارسة شتى أصناف الابتزاز والسطو المنظم وغير المنظم، وتوزيع الأدوار هنا وهناك، وممارسة المقاطعة والحروب التجارية والتحكمات الاقتصادية... وغير ذلك من أساليب شريرة تُظهر الهيمنة والسطوة وشبه التفرد الدولي. وإذا شاركت بعض الدول في أعمالها السياسية أو الاقتصادية في الابتزاز والسطو والسيطرة؛ فإنما يكون ذلك ببعض الفتات من أجل تسخيرها في جني الكثير...

إنه يمكن القول، وبكل بساطة، بأن أميركا قد أصبحتْ الشرَّ المستطير الذي يكتوي العالم بناره، وبالحروب التي تصنعها هنا وهناك، وأصبحت هي المسؤول الأول عن كل الويلات العالمية، والفقر والتشرد، وغرق آلاف المهجرين من ديارهم عبر البحار والصحارى والبراري... وإن هذا المارد العملاق الشرير لا يكتفي بتربعه على عرش العالم وممارسة البلطجة والتسلط؛ وإنما أخذ يمارس سياسة الاستباحة، ويقود المكائد الدولية، ويمارس شتى صنوف الانحطاط في الأعمال؛ من أجل إبقاء هذا التفرد والهيمنة؛ وحتى لا ينزل من عرشه في الشر والإرهاب والتسلط... فما هي الأعمال السياسية والاقتصادية التي تمارسها أميركا؛ من أجل بقائها على عرش العالم مهيمنةً على رموز اقتصاده ودوله الصغيرة منها والكبيرة؟!. إن الأعمال التي تمارسها أميركا، وتظهر في أرض الواقع، أو تظهر آثارها الشريرة، كثيرة ومتعددة ومتجددة ولا تقف عند حدّ... ومن هذه الأعمال:

١- الحرب الظاهرة والخفية على الإسلام السياسي للحيلولة دون تطبيق الإسلام في أرض الواقع، وخاصة بعد انكشاف عملائها السياسيين وظهور عوراتهم، وبعد انهيار الفكر الرأسمالي الاقتصادي، والتحولات والتحريفات التي جرت على كثير من أفكاره الأساسية...

٢- ما تفعله أميركا من مكائد دولية وإقليمية، وإشعال الحروب هنا وهناك؛ من أجل بقاء هيمنتها وتدخّلاتها السياسة، وفرض نفسها كطرفٍ راع للسلم الدولي، ورعاية المعاهدات الدولية والإقليمية، وزرع المكائد الدولية والفتن التي لا تسلم منها حتى الدول

الكبرى أحيانًا، ومثال ذلك ما تفعله من إثارة لحالة الشحناء بين الكوريتين لإبقاء هيمنتها في منطقة بحر الصين الجنوبي، وما تفعله بين إيران ومنطقة الخليج، وما تفعله كذلك في أرض الشام من مكائد دولية وإقليمية...

٣- الحروب التجارية، وإثارة المشاكل الاقتصادية للدول من أجل إبقاء الهيمنة الاقتصادية. والحروب التجارية هي إحدى أدوات أميركا التي مارستها، وما زالت تمارسها على الدول؛ مثل فرض القيود الجمركية على بعض السلع والخدمات التي تدخل الأسواق الأميركية، ورفع سعر الفائدة في البنوك الأميركية لجلب رؤوس الأموال الخارجية، والتأثير في رفع وخفض أسعار البترول...

٤- سياسات السلب والنهب لثروات الشعوب وأموالها، وممارسة التحكمات الاقتصادية والتجارية على بلادها، وذلك عن طريق عملائها السياسيين، أو عن طريق الشركات العملاقة عابرة القارات، أو عن طريق صفقات الأسلحة الوهمية بمليارات الدولارات، والتي تدفعها الدول العميلة مقابل تلك الصفقات التي لا فائدة منها...

٥- ضرب الاتحادات ومحاولات الوحدة بين الدول؛ سواء أكان ذلك للدول الكبرى أم الصغرى، والعمل على تمزيق الدول الأخرى في العالم الإسلامي، ومثال ذلك ما تفعله هذه الأيام لتمزيق الاتحاد الأوروبي بسياسات متعددة، منها اقتصادي ومنها سياسي...

٦- العمل على استقطاب وتسخير روسيا والصين، كدول عظمى، في مناطق عديدة من دول العالم، أو حتى داخل بلادها، عن طريق الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، وذلك كما حصل مع روسيا في حربها مع أوكرانيا، أو كما جرى في دخولها الحرب في أرض الشام... وابتزازها سياسيًا وعسكريًا خلال هذه المآزق السياسية... وكما هو حاصل في سياساتها تجاه الصين بإثارة الأزمة الكورية، أو عن طريق سياسات المصالح التجارية المشتركة، وامتيازات تجارية تتميز بها عن دول الاتحاد الأوروبي...

٧- ابتزاز العالم اقتصاديًا عن طريق تحكم الدولار. فالمعروف أن الدولار هو بمثابة الغطاء النقدي لجميع العملات في العالم تقريبًا، وهو الاحتياطي العالمي عند معظم دول العالم، حتى عند بعض الدول في الاتحاد الأوروبي. وعن طريق الدولار تستطيع أميركا أن تمارس معظم تحكماتها وابتزازاتها الاقتصادية؛ سواء أكان ذلك بإنقاذ العجز الكبير في ميزانيتها، أم الديون الكبيرة المستحقة عليها داخليًا وخارجيًا، أم بمعالجات أمور التضخم... وغير ذلك مما تواجهه أميركا هذه الأيام من مشاكل اقتصادية كبيرة...

٨- ما تقوم به أميركا من فرض سياسة التحكم بالتجارة العالمية والأسواق؛ وخاصة

السلع الحيوية. فمعظم السلع الحيوية التي تدرّ أرباحًا عالية ومميزة تحتكرها أميركا في كثير من الدول، وتحتكر أسواقها، وخاصة تجارة الأسلحة بشتى أصنافها، وتجارة بعض الإلكترونيات المتعلقة بالاتصالات. فهذه التجارة تدر على أميركا مليارات الدولارات، وتدعم الشركات العملاقة الداخلية، وبالتالي تساعدها على بسط الهيمنة العالمية...

٩- ما تمارسه أميركا من تحكمات ومضاربات في موضوع البترول والذهب وأسعار الفائدة... فالبترول سلعة حيوية لا تستغني عنها الدول الصناعية. ومعظم الدول المنتجة للبترول، خاصة في العالم الثالث، تهيمن عليها أميركا سياسيًا، وتفرض عليها سياسات موجهة تتعلق بالإنتاج والتصدير، وتفرض على دول أخرى طوقًا من العقوبات الاقتصادية، فتمنع التصدير كما يحصل هذه الأيام مع إيران..

١٠ - المحافظة على تفوقها العسكري، وحجم الإنتاج الكبير للسلع والخدمات. فالمعروف أن أميركا متفوقة على دول العالم في مجال التسلح، والأساطيل الحربية العملاقة العابرة للمحيطات، والقواعد العسكرية البحرية والبرية على السواء، ومتفوقة في حرب النجوم وغزو الفضاء الخارجي. وأميركا أيضًا تتصدر دول العالم في حجم الإنتاج والصناعات المتنوعة...

هذه أهم الأمور والمجالات التي تساعد أميركا في استمرار هيمنتها على العالم، وتحكمها بالتالي في سياسات العالم، حتى داخل الدول الكبرى؛ مثل الاتحاد الأوروبي والصين وروسيا واليابان، ولا يوجد منافس حقيقي حتى الآن لهذا العملاق والمارد الاقتصادي؛ يؤثر فيه بشكل فاعل.

فالاتحاد الأوروبي، كما نرى ونشاهد، من خلال أعماله ومواقفه الدولية هنا وهناك، ليس له موقف موحدة إزاء القضايا الدولية كاتحاد واحد، وجهته واحدة، ورأيه واحد. وكذلك ليس له التأثير الفاعل فيما يجري على الساحة من قضايا تتحداه بها أميركا؛ مثل التعرفة الجمركية التي فرضتها أميركا على بعض السلع الداخلة لأميركا من الاتحاد الأوروبي، أو قيام أميركا بفرض الحصار والعقوبات على بعض الدول خلاف رغبة الاتحاد الأوروبي؛ كما جرى في هذا العام تجاه قضية إيران وفرض العقوبات عليها، أو كما جرى عندما فرضت أميركا عقوبات على تركيا، وتسبَّب ذلك بخسارات كبيرة للاتحاد الأوروبي قدرت بالمليارات. فأوروبا ليست قادرة وحدها على الوقوف المؤثر في وجه أميركا في القضايا السياسية أو الاقتصادية على السواء.

وأما روسيا فإنها، كما ذكرنا، بعد انهيار منظومة الاتحاد السوفياتي، فإنها أصبحت ضعيفة اقتصاديًا، لا تقوى على صيانة أسلحتها

النووية، ولا تقوى على دعم الدول المحيطة بها في الاتحاد السوفياتي السابق، ولا حتى القيام على شؤونها الاقتصادية الداخلية، وعندما هبطت أسعار البترول واجهت عجزًا كبيرًا في ميزانيتها؛ لأنها لا تعتمد على أمور حيوية أخرى مثل صادرات الأسلحة، أو التحكم في اقتصادات العالم ؛كما تفعل أميركا عن طريق الدولار، وليس عندها أيضًا صناعات صالحة للمنافسة في الأسواق، كما هو الحال عند الصين.

أما الصين فإنها، رغم حجمها الاقتصادي الكبير وقدرتها على المنافسة التجارية والإنتاج العالمي، فإنها دولة منكفئة على محيطها وداخلها، وليس عندها طموح خارج أرضها ومحيطها، ولا تتدخل بشكل فاعل في القضايا الدولية أو الصراعات الإقليمية خارج محيطها. وفي نفس الوقت فإن الصين دولة لها مصالح حيوية اقتصادية مع أميركا، سواء أكان ذلك داخل الصين في الشركات والمؤسسات الأميركية عابرة القارات، أم داخل أميركا من حيث التصدير لأسواق أميركا. والصين ليس عندها السلاح النقدي العالمي كما هو عند أميركا، عدا عن أن الصين عندها مخزون كبير من الدولار يقدر بأكثر من ثلاثة تريليون، معظمها سندات خزينة صادرة عن طريق البنك الفيدرالي الأميركي؛ لذلك فإن الصين تضعف أمام أي مشكلة تحصل بينها وبين أميركا. وقد برز ذلك جليًا في المسألة الكورية، ورأينا هذا الأمر كيف تدخلت الصين كوسيط في كبح جماح كوريا وإرغامها على الصلح مع أميركا، والتنازل عن كثير من الأمور.

هذه هي الدول الفاعلة في السياسة الدولية، والتي يمكن أن يكون لها تأثير في الموقف الدولي، لكنها أمام سطوة أميركا ضعيفة، وغير مؤثرة بشكل فاعل، بل إن أميركا تسخرها في معظم القضايا التي تخدم مصالحها؛ كما هو حاصل في الشام، وفي المسألة الكورية، وكما هو حاصل في الصراع الشرق أوسطي في القضية الفلسطينية، أو في إيران أو تركيا.. أو غيرها من قضايا دولية وإقليمية.

لذلك يمكن القول بأن الهيمنة الأميركية، وشبه التفرد ما زالت قائمة، وأنها تترسّخ بفعل سياسات أميركا الاقتصادية والعسكرية وغيرها. ولا يوجد في المنظور القريب من هو قادر على كسر هذا التفرد والهيمنة... إلا أن الأمور وسير الأحداث لا يبقى على نفس الحال. فالله سبحانه بيده مقادير الأمور؛ فيعزّ من يشاء ويذل من يشاء، ويرفع أناسًا ويخفض آخرين، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾. فقد كان فرعون يقول للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ويقول: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ

إِلَٰهٍ غَيۡرِى﴾. وإذا بفرعون وجنوده، بين عشية وضحاها، يبتلعه البحر، ويرث ملكَه وعرشَه من كانوا بالأمس عبيدًا عنده، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم.

والحقيقة، إن أميركا قائمة على أساس واهٍ ضعيف، وإنه يمكن أن تتعرض لهزات داخلية أو خارجية؛ تنزلها عن عرش شبه التفرد الدولي الذي تتمتع به وتتحكم في العالم من خلاله، أو تسقطها أرضًا فتقضي عليها فتتشرذم إلى عدة دول ودويلات؛ كما حصل مع سلفها الاتحاد السوفياتي سابقًا. ومن الأمور التي يمكن أن تحصل وتؤدي إلى نزول أميركا عن عرش عظمتها أو تفككها في المنظور القريب:

الأمر الأول: حصول هزات اقتصادية قوية داخل الولايات المتحدة. فالاقتصاد الأميركي قائم على أساس واهٍ ضعيف، ويعاني من أزمات متتالية وعميقة، ويمكن أن يشهد انهيارًا واسعًا ومدويًا في أية لحظة. وقد حذر أكثر من خبير اقتصادي من هذا الأمر. فإذا ما حصلت هزة اقتصادية قوية داخل أميركا؛ فإنها ستؤدي إلى كارثة داخل أميركا وفي العالم، وسوف تؤدي إلى تفكك أميركا إلى خمسين ولاية كما حصل مع الاتحاد السوفياتي.

الأمر الثاني: هو التفكك داخل المجتمع الأميركي، سواء أكان بين السكان البيض والسود، أم بين الوافدين ومن يعتبرون أنفسهم أقدمين. أم بين الأغنياء والفقراء من الطبقة الكادحة. أم بين الولايات الغنية والفقيرة داخل أميركا... فبذور الفرقة والتشرذم كامنة داخل المجتمع الأميركي، وربما تحدث أمور معينة توقظ هذا الأمر، كالهزات الاقتصادية، أو التنافس بين الحزبين الكبيرين.. أو غير ذلك من أمور قد تُفجر هذه القنابل الموقوتة داخل المجتمع الأميركي.

الأمر الثالث: هو بروز خصم حقيقي منافس لأميركا مبدئيًا: وهذا لا يوجد إلا في دولة الإسلام؛ والتي يمكن أن تقوم في أية لحظة في العالم الإسلامي، وتوحد أكثر من مليار ونصف المليار تحت لوائها.. وهذا أكثر ما تخشاه أميركا هذه الأيام، وتعمل للحيلولة دون حصوله وحدوثه في أرض الواقع بكافة السبل وكل السياسات المتاحة لديها. ولكن الواقع المشاهد المحسوس، ومجريات الأحداث، سواء منها الدولي أم الإقليمي، يوحي ويؤشر بقوة إلى قرب قيام هذه الدولة. فعلى الصعيد الإقليمي، فإن الشعوب قد ضاقت ذرعًا بهذه الحكومات المهترئة الساقطة أمنيًا وأخلاقيًا وإداريًا، وعلى جميع الصعد، وصارت تطالب جهارًا نهارًا بإسقاط العروش الآيلة للسقوط، وفي الوقت نفسه تطالب ببناء الدولة الجديدة على دستور الإسلام ونظام الإسلام؛ والثورات التي حصلت، وما تخللها من صوت الشعوب هو أكبر شاهد على هذا الأمر. أما على المستوى الدولي فإن المبادئ

الدولية منها ما انهار وسقط ورفضته الشعوب، ومنها ما ترفضه وتمقته الشعوب، وانهار قسم كبير من فكره الأساس؛ كالنظام الرأسمالي الذي أصبح خاليًا من كثير من أسسه الرئيسة التي قام عليها؛ خاصة في أمور الاقتصاد؛ وهي أشهر أفكاره وسمي بها. وليس أدل على ذلك من التغيّرات التي حصلت في نظام وأحكام حرية السوق، والأحكام التي حصلت لإنقاذ الشركات المنهارة على حساب قوت الشعب ولقمة الفقراء من الضرائب، كذلك ما جرى من مناداة الناس في ١٠٠٠ مدينة في أبرز الدول الرأسمالية في العالم؛ تطالب بإسقاط النظام الاقتصادي، وهدم مراكزه في وول ستريت، وغيرها من رموز اقتصادية.. أيضًا ما يحصل في العالم الرأسمالي من إقبال على اعتناق الإسلام بعشرات الآلاف في كل عام، خاصة في أميركا؛ حيث يعلن أكثر من عشرين ألفًا في كل عام إسلامهم متخلين عن رأسماليتهم ونصرانيتهم؛ وهذا حسب إحصائية المكتب الفدرالي الأميركي للإحصاء.

إن أميركا اليوم تستبيح العالم أجمع، وتتجاوز الديمقراطية المزورة من خلال تشجيع عملائها الحكام على القهر والظلم والبطش، وتصطنع الحروب هنا وهناك، وتشعل الفتن والشرور في أرجاء العالم... كل ذلك من أجل بقائها على عرش الهيمنة العالمية. وهذا ليس غريبًا على أميركا سيدة النظام الرأسمالي. فهذا من طبيعة المبدأ الرأسمالي على مستوى الشركات أو الأفراد أو الدول. فهو نظام التطاحن والتنافس والصراع الدموي على المصالح. وأكبر شاهد على ذلك هو الحربان العالميتان، الأولى والثانية، من أجل المصالح والمنافع، والسيطرة وحب الذات، وأزهقت أرواح الملايين من البشر، وخربت ودمرت الكثير . كذلك ما فعلته أميركا مع الاتحاد السوفياتي عبر خمسين عامًا متواصلة من سياسات التدمير الاقتصادي حتى أردته أرضًا ومزقته إلى دول ودويلات، وجعلته في التأثير الدولي كباقي الدول ليس له وزن ولا تأثير.

إن أميركا تصارع وتدبر وتفعل كل المحظورات، وتمكر الليل والنهار، كل ذلك من أجل بقائها على عرش العالم تستبيحه وتنهب ثرواته، وتستعبد أهله اقتصاديًا وسياسيًا، لكن إرادة الله فوق إرادة أميركا، فكما انهار مبدؤها فكريًا؛ فإنها هي كذلك ستنهار بأحد الأسباب التي ذكرنا، أو بغيرها من تدبير المولى عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧﴾.

فنسأله تعالى أن يخلص العالم من شرورها وحربها على الله ورسوله، قال تعالى: ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾ صدق الله العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.■

مشروع الغرب الحاقد لتمزيق الأمةِ عرقيًا وطائفيًا مآله الفشل!!

عبد الكريم أبو مصعب

يمثل الشرق الأوسط منطقةً جغرافية وحضاريةً هامة جدًّا تمتلك موارد اقتصادية كبيرة بالمقارنة مع باقي مناطق العالم. وهو ما جعل هذه المنطقة دائمًا مركزًا للأحداث الدولية، وتشكل موقعًا في غاية الأهمية لأي قوى منتصرة عالميًا. إن أي خطط للهيمنة على العالم تمر عبر منطقة الشرق الأوسط أولًا؛ لذلك أفرد الغرب اهتمامًا كبيرًا لإخراجها من وحدتها التي كانت قائمةً تحت ظل الخلافة الإسلامية، وقسَّمها غنيمةً بين دوله كمنتصرين. وحتى بعد تغير الموقف الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، بقي الشرق الأوسط (قلب بلاد المسلمين) محورَ كل خطط تحاك.

من هنا، وضع الغرب نصب عينيه أن تبقى هذه المنطقةُ تحت السيطرة، وأن تحرم من أي استقلال حقيقي؛ لأنها سرعان ما ستعود إلى عقيدتها ومبدئها لو تُركت وشأنها، فهي دائمًا تحت الدراسة المجهرية لرصد ومنع تحركها. وأي تحرك لها نحو مبدئها ودينها تسلط عليه الأضواء بغرض حرفه عن مبتغاه الأصلي.

إن العالم الإسلامي يعيش هذه الأيام مخاضًا كبيرًا، وهذا نتاج ما طبق على هذه الشعوب المسلمة من أنظمة فاسدة مناقضةٍ لعقيدتها، ونتاج ما سُلط عليها من ظلم وقهر منذ أمد بعيد؛ لذلك فهي توَّاقة إلى موقف عز يعيدها إلى مكانتها السابقة، ويرفع عنها هذا الجور والحكم الجبري؛ ولكن المسلمين يجهلون الطريقة لذلك، فهم يقعون في كل مأزق يرسم خطته الغربُ، وللأسف يقعون في نفس الخطأ مرارًا وتكرارًا، إذ يتخذونه قدوةً لهم.

وقد أصبحت اليوم هذه المنطقة تعيش بركانًا كبيرًا جدًا لا يعلم أحد مآلات ثورانه ولا نهاياته، وخاصة بعد أن نجم عن هذه الثورات (الربيع العربي) حكوماتٌ هي أقذر مما كان، وهذا أدعى لاستمرار ارتدادات واعية لهذه الثورات حتى الوصول إلى ما تصبو إليه هذه الشعوب المسلمة. ولا يغرنَّكم ما يتناقله الإعلام المغرض، فالشارع الإسلامي اليوم أكثر استعدادًا للعودة لحكم الإسلام، ولكنه مشَّوش عليه وفاقد للوعي الصحيح الكامل، وذلك بسبب ما زرعه الغرب طيلة مئة سنة على

الأقل من بغضاء وكره وطائفيةٍ وحقد بعد أن نصَّب حكامًا خدمًا مهمتُهم رعاية ذلك، وبعض الأمة مخدوع بذلك.

إن ما زرعه الغرب من طائفية بيننا اليوم لم يكن له وجود قبل مئة عام. وكان إذا وُجد بين أبناء الأمة أحيانًا خلافٌ فقد كان يحل على أساس كتاب الله وسنة رسوله، ولم نصل فيما سبق إلى ما نحن عليه اليوم من فتن، ولولا غرس الغرب لهذه الأفكار وتغذيتها وما أوجد لها من واقع نعيشه ظلمًا وصراعًا مقيتًا بيننا في هذه الأيام لكان العود إلى أيام العز أقرب، ولكن للأسف أصبح من يقود عجلة هذه الأفكار ويوجه هذا الصراع يأتمر بأمر حكامنا الخونة وإعلامهم الخادع.

إن إيران حقيقةً لا تختلف عن باقي البلاد الإسلامية، فهي عبارة عن شعب مسلم وحكومةٍ خائنة خانعةٍ نصبها الغرب عليه لتنفيذ مخططاته ونهب ثرواته وتركه يعاني ويجري وراء لقمة العيش كما هو الحال في سائر البلاد الأخرى. لو قرأنا تاريخ إيران القريب لأدركنا حجم المؤامرة، ولوجدنا (مثلًا) أن إيران تم غزوها من قبل تحالف القوات البريطانية والسوفياتية عام ١٩٤١م حيث كان يحكم إيران رضا خان من عام ١٩٢٥م م إلى ١٩٤١م، ثم ترك منصبه لابنه محمد رضا شاه بهلوي الذي أمسك بالسلطة حتى ثورة ١٩٧٩م التي أطاحت به، وتخلَّل هذه الفترة محاولة اغتيال الشاه عام ١٩٤٩م من قبل أحد أعضاء حزب توده (TUDEH) اليساري. وفي الخمسينات من القرن الماضي تطور الخلاف مع محمد مصدق أحد القوميين فهرب فترة قصيرةً، وعندما أصر محمد مصدق على الوقوف مع قرار تأميم النفط الإيراني وإخراج شركات النفط الإنجليزية حينها، فرضت لندن على طهران عقوبات قاسيةً بهدف إجباره على التراجع عن القرار، ولما لم يتراجع مصدق كانت النتيجة أن قامت بريطانيا والولايات المتحدة بالتخطيط لانقلاب عُرف باسم (عملية إجاكس) أطاحت به وأنهت أثرَ التأميم، ثم أعادوا محمد رضا إلى الحكم ليبدأ برنامجًا إصلاحيًا عام ١٩٦٣م بدعم وتعاون مع الغرب، فحكم إيران بقبضة من حديد، وألغى جميع الأحزاب السياسية مع الإبقاء على الحزب الحاكم، وأعاد تشكيل الشرطة السرية (سافاك) التي مارست أبشع أنواع الجرائم ضد الشعب في هذه البلاد. كما قام الشاه بتأميم الأراضي الزراعية الكبرى. وفي ١٦ يناير ١٩٧٩م تحرك الشعب المسلمُ لينفض عنه غبارَ الذل وخاصةً عندما منع الشاه الحجاب وغيَّر المنهج التعليمي، فكان مطلبُ هذا الشعب هو تطبيق الشريعة الإسلامية واستئنافُ الحياة فيها على المنهج الرباني، ولم يكن أثناء الثورة هناك فرق بين سني وشيعي؛ حيث كانت تمثل الانتفاضةُ جميعَ شرائح المجتمع.

ولكن عندما لجأت أميركا إلى الاستعانة بالخميني الذي كان في منفاه بفرنسا، وتم إجراء اتصال بين الرئيس الأميركي جيمي كارتر عام ١٩٧٩م وآية الله الخميني - وقد وعد الأخير إن وصل إلى أعلى هرم الدولة بعدم قطع إيران النفط عن الغرب، وعدم تصدير الثورة إلى دول

المنطقة – عندها تحول مجرى هذه الثورة الشعبية إلى مصلحة الولايات المتحدة الأميركية (المصدر: تسريبات ويكليكس)؛ ولذلك تم استخدام النفوذ الأميركي على العسكر لتسهيل الانقلاب لصالح الخميني؛ بينما كانت مهمة الخميني تأمين الاستقرار بالداخل، وحرف الثورة، والتخلص من قادتها المخلصين من السنة والشيعة على حد سواء!! وعند وصول الخميني إلى طهران ألقى خطابه الأول وتلاه بالخطاب الشيخ أحمد مفتي زادة، وكان هو أكبر رموز الثورة، وهو سني، ولكن عند وضع الدستور رفضه الشيخ أحمد وقال: «هذا يُدخل البلادَ في المذهبية المفرقة للصفوف» فأودع السجن بتهمة معارضة ورفض الدستور، ولم يخرج إلا قبل موته بأيام. وإلى نفس المصير ذهبت كل قيادات الثورة المخلصة!!

ومع بدء حقبته الجديدة على حساب دماء الشهداء، ظل الشعب الإيراني المسلم يطالب بعودة الشريعة؛ ولكن كان للخميني كلام أخر أخرج الثورة عن حقيقتها وعن مسارها وحولها إلى ما يريد هو وأميركا؛ لذلك وبتاريخ ٣٠ آب ١٩٧٩م تقدم حزب التحرير بنص مشروع للدستور الإسلامي المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله، وقدمه لآية الله الخميني ولجنة الخبراء لإعداد الدستور لتبنيه إن كانوا صادقين فيما يزعمون؛ ولكنهم لم يصدُقوا وخانوا دماءَ الشهداء، وبذلك تعرَّوا أمام الأمة وأمام هذا الحزب الذي كشف ألاعيبهم، وأصدر نقضًا كاملًا للدستور الإيراني ولنظام ولاية الفقيه الذي أقروه لاحقًا. وبعد تثبيت حكمه وسلطته تحكَّم الخميني بالعباد وبالبلاد، وأخذ يوسع في الشق والهوة بين صفوف الشعب الإيراني، ويزرع الطائفية بكل الوسائل، وأصبح عصًا بيد أميركا تجهزه للمرحلة القادمة لتنفيذ سياساتها في المنطقة، فأخذ يخدع العالم بعدائه لأميركا (الشيطان الأكبر) والكيان الصهيوني، وهو الأداة بيدهم، وينفذ كل مخططاتهم.

لذلك نجد ذاكرة من يبلغون أقل من ٤٠ عامًا لا يعرفون سوى أن إيران هي عدوة لأميركا، وأن الصورة محصورة بين محور الشر والشيطان الأكبر؛ إذ لم يكن معلومًا عندهم أن الطرفين تجمعهما علاقات واتفاقياتُ صداقةٍ حتى زمن قريب جدًا! والتاريخ يثبت أنه لا عداء بين الطرفين، فلا حروب بينهم، بل على النقيض من ذلك، فقد خاضت إيران حربها الأولى مع العراق التي سميت حرب الخليج الأولى التي اندلعت بعد ثورة إيران مباشرة، أي في سنة ١٩٨٠م، والتي دامت ثماني سنوات، وراح ضحيتها أكثر من مليون قتيل، وألحقت أضرارًا بالغة بالبلدين. وبغض النظر عن الصراع الدولي، فإن تلك الحرب كانت في المحصلة لمصلحة أميركا؛ حيث منعت ارتداد الثورة على الخميني بعد قتل المخلصين، وأضعفت العراق ليصبح جانبُ الخليج مكشوفًا وساحةً للابتزاز بغرض الوصول إلى السعودية، وهنالك بدأت مرحلة العداء والصراع السني-الشيعي، وهو الخلاف الدائر إلى اليوم. ومن فصول تلك الصداقة أيضًا فضيحة (إيران جيت) وبيع أميركا والكيان الصهيوني أسلحة لإيران خلال الحرب. وفي حرب ٢٠٠٣م على العراق، كان النظام

الإيراني ركنًا من أركان نصر أميركا حيث كان هناك تناغم كبير بين الأميركين والإيرانيين، وكانت فتوى السيستاني بعدم جواز قتال القوات الأميركية بوصفها قوات تحرير، دون أن ننسى ما فعلته المليشيات الشيعية المدعومة من الحكومة الإيرانية على أرض العراق، وكذا ما صرح به آوري شمعوني في صحيفة معارف اليهودية حيث قال: «إن إيران دولة إقليمية، ولنا الكثير من المصالح الاستراتيجية معها، وما يحدث مع كياننا ليس عداءً بل هو صراع نفوذ لا صراع وجود»... فما هي هذه المصالح الاستراتيجية بين كيان يهود وإيران؟! كما يجب أن لا ننسى أيضًا دور التنظيمات الشيعية في العالم التي تمولها أميركا سرًا لنشر «الفكر الشيعي» المتطرف ليعارض الإسلام الصحيح ويدعم فكرة الصراع السني-الشيعي؛ لأن هذا الصراع يضمن وجود وبقاء الكيان الصهيوني، ومنع الأمة من التوحد. وللخطاب الإعلامي دور كبير في تصوير وتأجيج هذا العداء وعملقة حجم القوة الإيرانية بما لا يتناسب مع الحقيقة ولا بأي شكل من الأشكال، كل هذا خدمة للمصالح الأميركية في المنطقة. وما ظاهرة المفاعل النووي الإيراني إلا فزاعة لاستنزاف مالِ الخليج، ولتسمح لها كيانات المنطقة الهزيلة ببناء قواعد عسكرية فيها مثل الكويت والبحرين وقطر وعمان والإمارات والأردن ومصر والعراق، وهذا نوع جديد من الاستعمار ينافس أو بالأحرى يقضي على نفوذ الدول الأوروبية عامةً والبريطانية خاصةً، وهذا ما حدث ويحدث فعلًا إلى اليوم. وأيضًا استخدمت الولايات المتحدة إيران وحزبها في لبنان في دعم نظام الأسد في سوريا، وقد كبدت هذه الحرب حزبَ إيران الكثير الكثير من المال والرجال، ناهيك عن تعريته وفضح أكذوبة المقاومة والممانعة.

ومع اقتراب دور إيران من الانتهاء، بدأ الموقف الأميركي بالتغير تجاه إيران، والحقيقة أنه بدأ يتغير منذ اعتلاء الرئيس ترامب سدةَ الحكم، ولكن ظهر بشكل واضح جدًا عند انسحاب أميركا من الاتفاق النووي الإيراني؛ حيث فرضت عقوبات صارمة حقيقية على إيران، وسوف يتبعها عقوبات أكثر إيلامًا؛ وذلك لأن نية الولايات المتحدة في هذا الظرف استدراج الشعب الإيراني للانتفاض والقيام بحركات عصيان ضد النظام، وهذا تحديدًا ما تتمناه أن يحصل في القريب العاجل. وقد أدت هذه العقوبات إلى هروب رؤوس الأموال إلى الخارج مما أدى بدوره إلى تدهور قيمة العملة الإيرانية، وإن التراجع الكبير لقيمة التومان مقابل الدولار في الفترة الأخيرة مع كل محاولات الحكومة مكافحة ذلك؛ حيث قامت بتثبيت قيمته رسميًا مقابل الدولار بـ ٤٢٠٠ تومان، إلا أنه في السوق السوداء هو الآن أكثر من ٧٠٠٠ تومان مقابل الدولار الواحد، وهذا شكل ضغطًا كبيرًا على الحكومة، وأدى إلى هروب أكثر من مئتي مليار دولار إلى جانب أموالٍ أخرى بعلم الحرس الثوري. فحاولت الحكومةُ الخروج من الدولار إلى عملتها فلم تنجح واكتفت بالعملة الأوروبية (اليورو) في الاستبدال وفي التعاملات الحكومية. غير أن

الفساد الاجتماعي الذي خلفته ولايةُ الفقيه خلال تلك الفترة ساعد على تأزم الوضع الداخلي بشكل كبير.

إن العد التنازلي لسقوط نظام ولاية الفقيه في إيران واضح للجميع، ولكن من الصعوبة التنبؤ بوقت هذا السقوط وشكلِه، فهل سيكون انتفاضةً عنيفةً؟ أم إن التغير سيحدث على طريقة الثورات المخملية؟ أم على نمط الثورات العربية. واضح أن أميركا تسعى لتقسيم منطقة الشرق الأوسط ولا ترغب في دول كبيرة فيه، وهذا يخدم مصالحها القادمة، وقد جاء الدور اليوم على إيران والسعودية لتعقبهما مصر لاحقًا، ولا يهم من هو صديق أو غير صديق!! المهم هو أن كل الأطراف تحت سيطرة أميركا، وألا يكون لها أي لاعب أخر على الساحة على الإطلاق، وأن يكون التقسيم على شكل طائفي مغموس بالدم والحقد، وللأسف سوف يقوم التقسيم على أنه هو الفكرة العملية لحقن الدماء وحل الإشكال. وقد طرحت في هذا السياق عدة مشاريع تحدثت عن ذلك نذكر منها على سبيل المثال:

- مشروع برنارد لويس لتقسيم الدول في الشرق الأوسط الكبير والذي كتبه عقب تصريح لمستشار الأمن القومي الأميركي بريجنسكي؛ حيث قال: «إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الأولى لتستطيع أميركا من خلالها تصحيحَ حدود سايكس-بيكو»!! وقد اعتمدته الولايات المتحدة بالفعل عام ١٩٨٣م.
- مشروع رالف بيترز الذي جاء بعد مشروع برنارد لويس، والمتمثل في دعم الانفصال على أساس حدود الدم. وقد نُشر في مجلة القوات المسلحة عام ٢٠٠٦م؛ حيث صاحبه كلام عن تقسيم منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

وهناك كلام عن كثير من المشاريع التي تكشف نية الولايات المتحدة في تمزيق المنطقة بحسب الأعراق والمذاهب (أي عرقيًا وطائفيًا ومذهبيًا) لتأمين مصالحها بشكل دائمي، ووفق أطماع الولايات المتحدة الجديدة دون سواها. وبغض النظر عن إمكانية تطبيق هذه المشاريع، أو النية الأميركية لتقسيم المنطقة ضمن خطة استراتيجية متكاملة، فإن نسبة النجاح أو الفشل تعتمد على امتلاك أهل المنطقة خطة استراتيجية شاملة مقابلة لها؛ لذلك نقول إن أي عمل تفكيكي دون قدرة على بناء كيان إسلامي موحد ضمن رؤية ثابتة مبدئية فهو عمل يصب في مصلحة المخطط الأميركي حتمًا؛ لذلك وجب على الذين يعملون دون نظرة شاملة واضحة وأهداف حقيقية مبدئية محددة أن يراجعوا حساباتهم؛ لأنهم بذلك يخدمون الغرب عدوَّ المسلمين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. فيجب على جميع الشعوب الوقوف ضد أي مشروع انفصالي مهما كان يظهر أنه حل مؤقت، فهو سوف يؤدي إلى ضياع الكيانات وشرذمة أكبر للقضية، ونصبح في مواقع أضعف مما نحن عليه اليوم. والنتيجة هي أن ما لم نقبله بالأمس قد نقبله غدًا لشدة ضعفنا

وعدم قدرتنا على مواجهة الأمر؛ لذلك على كل الشعوب المنتفضة أن تعي أن حلول التقسيم هي بمثابة مسمار في نعش هذه المنطقة، ويجب على كل الشعوب التي تتطلع إلى العزة والعودة إلى عز السلف أن تنظر بمنظار الشرع المبني على الوعي السياسي المنبثق من العقيدة الإسلامية، وأن كل خلاف بين أبناء الأمة الواحدة له حل في الشرع ويزول، ولكن يجب على كل الشعوب الإسلامية أن تخلع زمرةَ الحكام المتسلطة على رقابها وأن تصمَّ آذانها للإعلام المغرض الذي يوجه عقولنا إلى ما هو في غير مصلحتنا ومصلحة ديننا، فهمٌّ الغرب الوحيد هو عدم عودة مارد الإسلام ولا بأي شكل من الأشكال إلى مسرح السياسة الدولي؛ ذلك أن الغرب يعي تمامًا أن الإسلام له حضارة مستقلة كل الاستقلال عن غيرها من الحضارات، ويتمتع بتاريخ حضاري كبير جدًا، وأنه جدير بأن يقيم قواعد عالم جديدٍ دون الحاجة إلى الاستناد إلى أي ركيزة من ركائز النظام الغربي أو غيره، ونحن المسلمون ننتمي إلى عقيدة راسخة رسوخ الجبال رغم كل ما عبث به الغرب عبر مئة سنة (على الأقل) فكان الإخفاق الكامل نتيجة جهوده الكبيرة!

إن العالم الإسلامي عملاق كان نائمًا، واليوم يصحو من بعد غفلة وغفوة، وإن شاء الله ستعي هذه الشعوب أنها أصل القوة، وأن حكامها ما هم إلا دُمىً في يد أعدائها؛ لذا وجب على كل مؤمن غيور يشهد أن لا إله إلا لله وأن محمدًا رسول الله أن يدفع بقوة لتحقيق مشروع الأمةِ المضاد لهذا المكر، وليس ثمة مشروع يحقق هدف إعادة استئناف الحياةِ الإسلاميةِ سوى مشروع حزب التحرير الذي هو أصلًا منبثق عن كتاب الله وسنة رسوله، وهو يعمل في الأمة منذ ٦٥ عامًا، وقد بنى بعون الله كتلةً كبيرة جدًا، وهو يواكب الصراعاتِ الدولية والتغيراتِ على الساحات الداخلية والخارجية، وله قدرة على قيادة الأمة بكل جدارة، بعون الله تعالى إلى بر الأمان.

فيا شعب إيران الأبي، إن الحل لا يصدر من أولئك الخونة والعملاء، ولا بالركون لقرارات الدول الكبرى أو ما يطلق عليه المجتمع الدولي برمته، بل الحل في صلب عقيدتنا، وهو بتحكيم الشرع والالتزام بالقانون الرباني، فالحل يكمن في دولة الخلافة الراشدة التي وعدنا إياها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فهي تحمي الحِمى، وتحقن الدماء، وترفع الظلمَ، وتحق الحق، وتبطل الباطل.

ويا جيوش المسلمين في كل بقاع الأرض: اعملوا لنصرة هذا الدين وحقن دماء المسلمين، وفوزوا بعزَّي الدنيا والآخرة، ولا تكونوا أداةً إجرامية بيد الظالمين من العملاء والخونة فينالكم سخط من الله العزيز الجبار. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾، وقال جل شأنه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.■

كتاب الدولة المستحيلة: نظرة نقدية لطرح استشراقي

لطفي بن محمد - ماليزيا

على كثرة الكتب والدراسات التي تناولت التراث السياسي الإسلامي وعلاقته بالدولة، وفي ظل المتغيرات الدولية والإقليمية، فإن الكتاب الذي صدر سنة ٢٠١٤م تحت عنوان «**الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي**» يعتبر توجهًا جديدًا في نقد الطرح الإسلامي المنادي بعودة الإسلام فكرة وطريقة، واستئناف الحياة الإسلامية من خلال دولة تؤمن به وتطبقه. وتدور فكرة الكتاب حول نقطة محورية وهي أن الدولة المستحيلة والمقصودة بها هنا هي ذلك النموذج الإسلامي للحكم، وأن أخلاقياته التشريعية تتنافى مع واقع الدولة الحديثة، والتي وصفها بأنها تعيش تعاسة أخلاقية. فهما على طرفي النقيض، ولا يمكن للمشروع الإسلامي أن ينصهر في بنية الدولة الحديثة. ويقدم تحليلًا لذلك من خلال عقد مقارنات بين النموذجين تركزت في إبراز البعد التاريخي والأيديولوجي لكل من السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية. وبناءً على ذلك، فإن الكاتب يصل إلى فكرة مفادها أن المسلمين، والقول هنا موجه إلى أصحاب المشروع الإسلامي، جماعات وأفرادًا، ملزمون بتبني تصور جديد للحكم يضع ضمن رهاناته المنظومة الأخلاقية، وإن كان في الأمر استحالة، خاصة في ظل تفشي النموذج الغربي وسطوته الفكرية والسياسية وحتى العسكرية. فالكاتب يريد أن يقنع القارئ أن مثالية الإسلام و تشريعاته هي عقبة في سبيل إيجاده في واقع مليء بمفاهيم الحداثة. وبطريقة مبطنة، فهو يريد القول إن الدعوة إلى الدولة الإسلامية، والتي يحاول تجنب استخدام مصطلحها، هي تشتيت للجهود في فكر مثالي، لأن الواقع أمر آخر تستحيل المثالية الإسلامية أن تصلحه، أو أن تجد له مخرجًا.

ولأجل إثبات دعوته، فقد اتخذ منهجًا ذكيًا في طرحه، اعتمد على نقد المنتوج الحضاري الغربي وإبراز انحطاطه. وفي المقابل تطرق إلى ما يسميه نظام الحكم الإسلامي بشكله العام، وأنه أفكار وأحكام وجدت في الماضي، ولكن فكرة استجلابها قد لا تتكرر لاختلاف السياقات الحضارية. فهو يرى أن الدولة الحديثة، بما لها وما عليها، أمر واقع ومحتم، ولا يمكن القفز عليه أو تجاهله، وبالتالي فإن الهدف العملي المثمر هو توجيه النقد البناء للفكر الحداثي من أجل إصلاحه من خلال الاستعانة ببعض التشكيلات الأخلاقية التي يتميز بها النموذج الإسلامي. وهكذا نجد أنفسنا أمام مقاربة ترمي إلى نسف المشروع الإسلامي وتقزيمه وإضفاء الصفة المثالية حوله، وتجعل من دعاته في قفص الاتهام، وأن دعوتهم غير واقعية بل خيالية.

إن هكذا ادعاء يندرج ضمن ادعاء قديم في ثوب جديد تتغير ملامحه كلما اضطر إلى ذلك، وهي معركة فكرية وجودية سارع في

إبرازها وجود تيار كبير في الأمة ينادي بعودة الإسلام إلى الحكم والدولة والمجتمع، والتصارع الدائم بين المبادئ، ومحاولة فرض منطق الغالب على المغلوب. وفي ظل الحملات الفكرية المتتالية على الإسلام ومنهجه فإنه يحتم علينا إبراز خبث وزيف هذه الادعاءات، ورسم الخط المستقيم بجانب الخط المعوج حتى يتضح نقاء الطرح الإسلامي وتبيان تكامله وواقعيته. ومن أجل ذلك، فإن هذا المقال يهدف إلى مناقشة الكتاب الآنف الذكر.

تُعرَّف الدولة على أنها ذلك الكيان التنفيذي لمفاهيم وقناعات الناس. وبما أنها تنفيذية، فهي تحتاج إلى فكر؛ لأن التنفيذ دون فكر هو عبث، والدولة غير السلطة. فالأخيرة وإن كانت داخلة ضمن إطار الدولة، فانه يمكن حصرها في ما يسميه الباحثون بقوة القانون المستمدة من الشرعية الإلهية كالإسلام، أو العقلية كما في غيره. وتختلف الدول باختلاف الأفكار الأساسية المتبناة في النظر إلى حقيقة الكون والإنسان والحياة، والتي تنعكس في شكل المؤسسات التي تجسدها الفكرة وتنبثق منها أحكام سيرها. فالدولة في الإسلام نشأت مع أول خطوة خطاها الرسول الكريم باتجاه استلامه الحكم وتوقيعه لميثاق المدينة وتأسيسه لمفهوم الأمة. وتعتبر الدولة في الإسلام أمرًا واجب الوجود لارتباطها الوثيق بوجود الإسلام حيًا في المجتمع، وإن كان الفقهاء لم يستخدموا مصطلح الدولة، ولكنهم عبروا عن ذلك الكيان السياسي بالخلافة، ولم يدخروا جهدًا في توضيح معالمها حتى يتسنى للأمة ممارسة صلاحياتها على الوجه الصحيح. واستمر الحكم الإسلامي «الخلافة» على مدى ١٤ قرنًا، انتهى بسقوط الدولة العثمانية سنة ١٩٢٤م وإقامة الدولة التركية العلمانية «الحديثة» على أنقاضها. والأمر نفسه حصل مع بقية المناطق التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية، فقد تم تفتيتها إلى مزق من قبل الدول الأوروبية الحديثة.

إن الفكر الغربي لم يعرِّف الدولة بمفهومها الذي عرَّفه الإسلام إلا بعد أن حسم صراعه الدامي بين الكنيسة والمفكرين وانهيار النظام الإقطاعي، وبذلك برز تيار في المجتمع يتصدره المفكرون والأدباء ينادون بفصل الدين عن الدولة، وقد تُوج ذلك بإنشاء الجمهورية الفرنسية التي ما لبثت أن بدأت بثورة فكرية أسست لما أطلق عليه فيما بعد بالدولة الحديثة. وكان أن بدأ البحث الجدي في شكل وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، واعتبر جون جاك روسو أن «**الدولة شر لا بد منه**»، فهم قد اعتادوا على منطق الغاب؛ ولهذا فإن فكرة التنظيم في شكل مؤسسات لم يتم قبولها في البداية، ولكن مع الزمن نضجت الفكرة وأصبحت الدولة كما يصفها الكاتب بأنها ذات سلطة غير محدودة واستبدادية. وعليه فالسياق التاريخي يمكن الاحتجاج به في إثبات أن المقصود بالدول الحديثة هي وجهة النظر الغربية للدولة. وقاعدتها الفكرية فيها هي فصل الدين عن الدولة والحياة.

إنه لمن الطبيعي أن يفرض الغرب أسلوبه وفكره ومنهجه، ويسعى إلى نشره وإبراز

مفاتنه وإخفاء عيوبه. ولعله من البديهي أيضًا أن ندرك أن الدول التي أنشأها الاستعمار أو كان سببًا في وجودها هي مجرد امتداد مسخ له ولحضارته. فهو قد أنشأ دولًا، أي مؤسسات، من قضاء وتعليم ومؤسسات عسكرية ووسط سياسي، ويذكر الكاتب ذلك: «**كما أنّ النخب القومية في الدول العربية حافظت على السياسة الاستعمارية المستبدّة ذاتها** (ص٣٢) ولكن كل هذا ضمن سياقه الحضاري الذي تم فرضه بالحديد والنار؛ لأن المجتمع الذي طبق عليه النموذج يحمل مفاهيم وقناعات مختلفة؛ مما جعله في تصادم دائم وانعدام للانسجام. وبقي التصادم قائمًا ومن أوجه، **أولًا:** إيجاد مناخ فكري مليء بالتشوهات يحاول إيجاد عقلية لا ترى إلا بمنظار ما يراه الغرب، واعتبر ذلك هو المنهج العلمي الصحيح والموضوعي. **ثانيًا:** تلويث أفكار الناس فيما يتعلق بالإسلام ونظام حكمه، وكانت الانطلاقة بكتاب علي عبد الرازق الذي يفتقر التأصيل العلمي، ويدل على عدم استقراء للمادة العلمية وجهل مطبق بها، هذا فضلًا عما تدور حوله من الشبهات من أن كاتبه هو اليهودي مارجيلوث، ومدققه اللغوي طه حسين، وما علي عبد الرازق إلا عميل فكري. ومن أجل استمرار عملية التلويث، فقد تم تغيير مناهج الأزهر والزيتونة من خلال الإصلاحات التي سعت إلى تغييب تام للنظام السياسي في الإسلام، واعتباره مجرد خطوط عريضة وقواعد إنسانية عامة؛ وبهذا تفقد كنهها وتميزها. ويمكننا إدراك قلة المتاع الفكري والفقهي لدى الكاتب «وائل حلاق» فيما يتعلق بالفكر السياسي الإسلامي بشكل واضح وجلي عند تطرقه لنموذج الحكم الإسلامي. فهو في البداية يحاول إبعاد ذهن القارئ عن مصطلح الخلافة واستبداله بالحكم الإسلامي، واعتبار أن الإسلام لم ينتج دولة بالمفهوم الحديث «**لأنها تحتوي مدلولًا يشير إلى أنّ الوحدات الإسلامية الناظمة للسياسي والاجتماعي لم تكن متداخلة بصورة وثيقة في إطار منتظم**» وهذا يدل على محاولة لإعطاء تفسيرات غير منطقية لوقائع تاريخية وتشريعية غير مبررة. ومما يستدل به كذلك هو قوله إن الحاكم في الفكر الإسلامي هو مستأجر «**يمكننا توصيف السلطة التنفيذية في الحكم الإسلامي بأنها طبقة مستأجرة ملتزمة بتأدية وظائف معينة، تحافظ على تطبيق الشريعة (التي قّننها الفقهاء) بالنيابة عن الأمّة، وتخضع لنظامها لقاء إيجار تفرضه على الناس**» وهذا منطق رأسمالي بعيد كل البعد عن الفقه السياسي الذي اعتبر أن الحاكم في الإسلام هو شخص يخلف الأمة في تطبيق ما أمروا به، ويتم تعيينه وفق نظام محدد يسمى بالبيعة. و يستمد شرعيته، أي الحاكم، من كونه ممثلًا للأمة، والتي وجب عليها طاعته مادام أنه قائم على حدود الله. فالسلطان للأمة، فهي التي تعين الحاكم الذي يرتبط بعقد معها، وإن أخلَّ ببنود العقد، فإن للأمة الصلاحية في خلعه. وفي سياق آخر، فإن الكاتب وصف نظام الحكم الإسلامي بأنه قاصر عن إيجاد ما يطلق عليه البيروقراطية، أو بمصطلح آخر، الأجهزة الإدارية. ومرة أخرى يقع في فخ جهله الذي هو

غير معذور به، خاصة وأنه أراد إضفاء الصفة الأكاديمية على كتابه، وعمل على حشوه بكثير من كلام الفلاسفة الغربيين ونظرياتهم. وبهذا يتضح أن المؤلف لم يعتمد على الأسلوب العلمي الدقيق في تناوله للموضوع الرئيسي، وبهذا فإن نقاش تفاصيل ما بني عليه غير نافع.

أما انتقاده للحضاره الغربية والحداثة في ثوبها الحالي فهو لم يأتِ بجديد، فقد سبقه الكثير من الكتاب الغربيين من أمثال جان زيغلر في كتابه «سادة العالم الجدد» ونعوم شومسكي «من يحكم العالم» ومايلز كوبلاند «لعبة الأمم» والكثير الكثير... فالغاية التي أرادها الكاتب من تناوله لإفلاس النموذج الغربي هو من أجل إبراز أنه كاتب حيادي ينتقد الطرفين ويحاول الأخذ بأفضل ما فيهما، ولكنه يغلِّب النموذج الغربي باعتباره القائم والأكثر واقعية على خلاف النموذج الإسلامي الذي يفتقد لمفهوم الدولة الحديثة، وتشوبه الكثير من المثالية، ولكن يمكن الاستفادة منه في تقويم ماأفسده الدهر. إن الإشكالية في المنهج الغربي هي قاعدته الفكرية، والتي انبثقت عنها معالجاته التي تسيِّر الحياة. فهي قاعدة أعطت للعقل المتقلب صلاحية التشريع، وخالفت بذلك فطرته التي تقر بعجزه وأنه مجرد مخلوق لخالق مدبِّر حكيم، ولعل عدم إدراكه لهذه الحقيقة هو أنه شخص مسيحي. إن متلازمة القتل والفقر والفساد بالنسبة للدولة الحديثة أمر لا يمكن الانفكاك منه، وهو أمر غير مخفي على كل مطلع على التاريخ الإجرامي للثورة الفرنسية، والجرائم الوحشية التي مارسها المستعمرون الأوروبيون تجاه الهنود الحمر، والحروب التي قامت بها بريطانيا على الصين فيما يسمى بحروب الأفيون، وحرب العراق وأفغانستان وهيروشيما وغيرها الكثير. فما ذكره الكاتب من إفلاس وحياد هو في حقيقته أصل من أصول النموذج الغربي الذي لم يحد عنه، وإنما ازاداد شراسة ونهمًا، وتسبَّب في كوارث بشرية وطبيعية. وحتى التكنولوجيا التي يتغنى بها فهي ممنوعة على الأمم الفقيرة لتبقى على ما عليه من الاستعباد والنهش... إذًا، الغرب لم يحد، وإنما استمر فيما كان عليه، وإن زيَّنه ببعض البهرجة الإعلامية والفكرية هنا وهناك.

وأخيرًا، فإن الكتاب لم يقدم طرحًا علميًا كما يدعيه، وعدم تمكنه من المادة العلمية غير مخفي على كل ذي بصيرة. وأما تمسكه بقشة نقد النموذج الغربي فهي حيلة لن تنطوي على من أدرك ألاعيب مفكري الغرب ومستشرقيه، ووجب على الأمة إدراك خطط أعدائها وأساليبهم التي لن تتوقف مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. إن على الأمة ومثقفيها المخلصين هو السعي الحثيث لإعادة الثقة بأحكام الإسلام ومعالجاته، وأن التنازل عن أي جزئية تعتبر بداية للانهزام الذي يتلوه غضب رباني، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ٧٥﴾. ■

كذبة شقاء الأمة بالسياسة

عبدالرحمن العامري- اليمن

يتبع الغرب أساليبه الماكرة والخبيثة للحيلولة دون عودة الإسلام، والتي كانت دولته، لعدة قرون، سيدة الدول، وأمته خير الأمم، وسيعود كذلك، بإذن الله تعالى، كما كان، رغم تآمر الغرب المتآمرين ومكر دول الكفر أجمعين، ورغم المزالق والعقبات التي يضعونها وعملاءهم لقطع الطريق، أو حرف العاملين للوصول إلى إقامة الدين بإعادة خلافة الخير الإسلامية، منقذة العالم من وحشية الرأسمالية الأنانية. نعم، ستعود بإذن الله، طالما أن هناك رجالًا مخلصين باعوا دنياهم بالآخرة، واتبعوا طريقة الاجتهاد الشرعية في فهم أحكامه الشرعية ومعالجاته، وسلكوا طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة دولة الإسلام، فصارعوا أفكار الكفر الباطلة ببيان فسادها وعدم صلاحيتها، وعرض البديل الأصيل عنها، ألا وهو فكر الإسلام العظيم، والعمل على نشره في الأمة، وقاموا بالكفاح السياسي لأذناب الغرب الكافر المستعمر من الحكام العملاء له، ومن ثم هم يطلبون الاستعانة بأهل القوة لحماية هذا الفكر ورجاله وإيصاله لسدة الحكم... هذا وقد هاجم الغرب الحاقد بشكل فظيع هذه الأفكار كونها هي التي توجد الدولة، وشكلت هاجسًا لديه يؤرقه كونها تهدد حضارته، وبإمكانها اجتثاثها من جذورها. فكما أزيلت دولة الإسلام بأفكار الكفر ابتداء، تعود بإذن الله في مقدمة الأمم بأفكار الإسلام الحق.

ومما يعيد الإسلام ودولته أمور منها:

- إيجاد رأي عام منبثق عن وعي عام بأن الإسلام فيه معالجات لجميع شؤون الحياة، في الاقتصاد والحكم والمعاملات والقضاء والتعليم والصحة والجيش والزراعة والصناعة والتجارة والحرب والسلم... وأنه تجب إقامة دولته لتحكيمه في الحياة.

- خوضُ الصراع الفكري والكفاح السياسي بالعمل على هدم الأفكار والقوانين والعلاقات القائمة بين الحاكم والمحكوم، والقائمة على أساس الفكر الرأسمالي العقيم، وبيان فساد هذه الأفكار وآثارها المدمرة على البشرية، حتى وعلى أصحابها على وجه الخصوص، وكشف واقع الأنظمة وارتباطها بالخارج، وكذلك كشف واقع الأحزاب والتيارات العلمانية وغير العلمانية؛ وذلك للوقوف في وجه مشاريع الغرب وأذنابه من الحكام وإفشال تحقيقها ومرورها على الأمة، وإظهار عظمة أحكام الإسلام ودورها في إنهاض الأمة.

هذا وقد عمد الغرب وأبواقه من الحكام والعلماء والأحزاب العلمانية، كل من جهته، إلى العمل على ضرب ذلك:

١- **بالطعن بالإسلام** من خلال ضرب الأحاديث والتشكيك فيها، وتفسير القرآن بغير ما تحتمل معانيه، وإيجاد قواعد ليست من

الإسلام في شيء، كالضرورات تبيح المحضورات مع أن الأصل فيها الاضطرار وليس الضرورة، والغاية تبرر الوسيلة، وحيثما تكن المصلحة فثم شرع الله، وشيء أحسن من لا شيء... وغيرها من القواعد غير الشرعية التي توسعوا فيها ليُلغوا الإسلام بها. وهذا الأمر استعمله الكفار منذ بداية الدعوة، وما زالوا يستعملونه حتى يومنا هذا، وعلى سبيل المثال وجد من يقول من قبل بالأخذ من القرآن فقط وعدم أخذ أحاديث رسول الله، وهم من سموا بالقرآنيين، وهذه الدعوة يجددها كفار اليوم كما اختلقها كفار الأمس. فالطعن ما زال قائمًا، وتقريبًا لم يتغير. وكذلك نادوا من قبل، وتحت حجة أن الدين مرن، بتطوير الدين ومسايرته للواقع، وهم ينادون اليوم بتجديد الخطاب الديني والاستفادة من كل جديد مفيد، بحجة أن الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها أخذها...

٢- بضرب فكرة السياسة، وذلك من خلال إيجاد أحزاب سياسية إسلامية مدعومة من قوى إقليمية، وهذه الأخيرة مدعومة من الغرب، وتنافُس هذه الأحزاب على السلطة والمصالح، والضحك على الأمة بشعارات بهدف الوصول لتلك المصالح، ثم عندما تصل لا تحقق هذه الأحزاب للأمة نهضة ولا نفعًا. بل هي تحقق مصالحها الذاتية، وتساوم على مبدئها فتخالفه وتخالف شعاراتها التي استهوت بها القلوب ابتداء؛ ما أدى إلى رفض الأمة لها، وجعلها عرضة للاتهام من قبل المسلمين، والتشنيع عليها وعلى الإسلام من قبل غير المسلمين. وهذا كله يقع ضمن خطة الغرب بأن يتسرب للأمة فكرة اعتزال السياسة وفصلها عن الحياة، وهذا يتوافق مع ما يطرحه الغرب من علمانية، وجعل الدين في الجامع بعيدًا عن الحياة وعن السياسة، ولا دخل له فيها. والذي أدى إلى فشل هذه الأحزاب والجماعات عوامل عدة منها:

- افتقار هذه الأحزاب لبرنامج ومشروع نهضوي وحضاري ينقذ الأمة وينتشلها مما هي فيه من بلاء؛ فلم يكن لديها برنامجًا في فكر صالح قابل للتطبيق والمعالجة الصحيحة العملية.

- التعصب في الآراء المطروحة لدى الجماعات سواء بدليل أوبدون دليل، رغم أنه تعصب في الظنيات وليس في القطعيات.

- تأثرها بمقولة الغرب من أن حضارته ومدنيته وتطوره كان من جراء البعد عن السياسة وفصل الدين عن الحياة (العلمانية) وتضليل المسلمين بالقول إن الغرب كان متخلفًا، وفي الوقت الذي فصل فيه الدين عن الحياة وعن السياسة عرف طريق النهضة، وبات متطورًا ومتحضرًا ومتقدمًا.

هذه بعض من العوامل التي عمل الغرب على انحطاط الأمة من خلالها عبر أنظمة عميلة وأحزاب علمانية وثقافة مشوَّهة. وغسل أدمغة الناس بدفع الناس لأن ينظروا إلى أن السياسة دجل ونجاسة، وأن الدين أطهر من أن يتدخل فيها... إن السياسة هي فعلًا دجل ونجاسة عندما يكون الصراع على المصالح وتحقيق المنافع الذاتية والأنانية هو منطلقها وديدنها، كما عند الغرب؛ فلا يأتي منها إلا الصراعات والأزمات والحروب... أما السياسة بالمفهوم الأسلامي فلها وجه مشرق آخر لا

يمكن أن يقاس بهذا الوجه الرأسمالي البغيض.

إن السياسية في الإسلام تؤدي إلى هداية الناس وإعمار الأرض لا إلى تدميرها كما هو الحال في المفهوم الغربي. والواقع أكبر شاهد على ذلك. والسياسة في الإسلام مرتبطة قبل كل شيء بالعقيدة الإسلامية لجهة العمل ترسيخها بين المسلمين ونشرها بين العالمين؛ فهي مرتبطة بتطبيق الإسلام في الداخل والدعوة إليه في الخارج؛ إذ هي تقوم على رعاية شؤون الناس بالحق وبالعدل. فأصل الكلمة عندنا في الإسلام هي من ساس ويسوس الوارد في الحديث الشريف: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلّما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**» رواه مسلم. وكلمة تسوس هنا بمعنى ترعى وتقوم على شؤون الناس بأمر الله الذي يجتمع فيه الخير كله. من هنا يمكن القول بأن ما ذكروه عن أن السياسة دجل فهو قول حق بحق أهله، وأن ما يضعه الإسلام لمعنى السياسة هو قول حق بحق المسلمين. قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ٨٤﴾.

هذا وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم هو السياسي الأول بهذا المفهوم، والسيرة حبلى بالمواقف العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الكفار وكشفه لخططهم، وتبنيه لمصالح أمة الإسلام، حتى العقيدة في الإسلام علمنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كيف نأخذها أخذًا سياسيًا حين دعانا لأن نسيِّر كل حياتنا بها، فلم تكن أفكارها أفلاطونية بل كانت عملية، بل جعلها الإسلام هي أساس الأعمال. فالعقيدة هي التي تدفع المسلمين للاهتمام بشؤون العالم وهدايته والقيام بأمره بحسب الأحكام الشرعية، وهذا أعلى درجات الشعور بالمسؤولية عن العالم، وفكرها ممتد يطال هذه الحياة، وما قبلها، وما بعدها، فكانت هنا السياسة بهذا المفهوم تقوم على رعاية البشرية كلها، وفعلًا هي كذلك؛ إذ إن الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام هي أحكام إنسانية، هي للإنسان بوصفه إنسانًا، وبغض النظر عن عرقه أو جنسه، أو لونه... وهذا المفهوم النبيل للسياسة في الإسلام يعمل الغرب على تشويهه واستبداله بقمامته. فإذا كانت العقيدة هي مبتدأ فهم السياسة في الإسلام، فما هو خبرها؟

إنه رعاية شؤون الناس بالأحكام الشرعية حتى تتأمن لهم الحقوق، ويتحقق فيهم العدل، ونقول الناس، وليس فقط المسلمين، لأن الدولة الإسلامية حين ترعى شؤون رعيتها بالإسلام، لا تقتصر رعايتها على المسلمين فحسب، بل تتعداها لتشمل كل الرعايا على اختلاف مللهم ونحلهم، فيطالهم من خيرها في الدنيا على السواء؛ لذلك كانت الدولة الإسلامية بأعمالها السياسية، هي الوجه الأبرز في تطبيق الإسلام ونشره، وكل هذا من السياسة.

هذا وقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة صورة جلية كيف أن الإسلام دين رعاية كما هو دين هداية. ففي مكة، توجه الرسول في دعوته نحو إقامة دولة تقيم حكم الله في الأرض وهذا عمل سياسي،

فقد توجه للملأ من قريش وهم سادتها وأصحاب الأمر فيها، أي سياسيوها وقال لهم: «**كلمة تعطونيها تحكمون بها العرب وتدين لكم بها العجم**»؟؟؟ وهم حاربوه لأنهم يرون أنما يريد أن ينتزع السلطة منهم، وهو صبر على دعوته لهؤلاء السادة حتى إذا يئس منهم توجه إلى الملأ من القبائل يطلب منهم القوة والمنعة ونصرته حتى يقيم أمر الله ويقيم دولته، وهذا ما فهمه من كان يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم لنصرة دعوته كما حدث مع وفد بني صعصعة حين عرض ﷺ نفسه عليهم ودعاهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه، فقال له رجل منهم: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظفرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، فقال له: أنقاتل العرب دونك، فإذا أظفرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه... وهذا ما كان ختام مسكه بإقامة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة عن طريق نصرة بعض من زعمائها له صلى الله عليه وسلم، وبالتالي تكريس قيادته على رأس هذه الدولة، وقيامه برعاية شؤون المسلمين بما كان ينزل عليه من آيات الأحكام. وكذلك كان الأمر في المدينة؛ حيث لا يمكن تصور أن الرسول كان لا يتدخل في السياسة، بل كانت كل أعماله سياسية، فقد كان يعمل على تبليغ وتطبيق ونشر أحكام الإسلام المختلفة من عبادات وأخلاق ومعاملات، وجهاد، وسائر أحكام الإسلام بشكل فيه الرعاية والاهتمام بشؤون الرعية كلهم. ألم يخض الرسول الغزوات، ويحقق الانتصارات، ويحكم البلاد المفتوحة بالإسلام؟ ألم يعين الولاة والقضاة، ويقول عن أبي بكر وعمر أنهما وزيراه في الأرض؟ ألم يستقبل السفراء، ويعين على الأراضي الخراصين؟.. إن السياسة هي من صميم الإسلام، وهي تأخذ قوتها من قوة العقيدة وصحة الأحكام الشرعية في معالجة مشاكل الإنسان، وقد كانت سببًا لجلب السعادة للأمة وللبشرية، وكان تاريخ الدولة الإسلامية مشرقًا لدرجة جعل الأعداء قبل أهلها يمدحونها...

من هذا الواقع يظهر كذب من يقول إن سبب شقاء الأمة هي السياسة، نعم هي السياسة عندما تكون قائمة على الرأسمالية الجشعة الظالمة المتوحشة، أما عندما تكون قائمة على أخلاقيات الإسلام فإنها هي الوحيدة التي تجعل المسلم يعيش فيها بكرامته، وتؤمن له حقوقه، وهذا ما يجب أن يعي عليه المسلم ويعمل من أجله، بأن يقيم دولة الخلافة التي تمارس السياسة على أرفع مستوى. ولعمر الحق، إن هذا ما تحتاج إليه البشرية جمعاء، بعد أن اكتوت جميع شعوبها بشرور الرأسمالية التي لا يمكن حصرها.

وهنا لا بد من كلمة أخيرة وهي أن شعوب الغرب نفسها تكتوي بنير الرأسمالية، ولو وعت هذه الشعوب أن السياسة عندهم يديرها حفنة من الرأسماليين الجشعين لانقلبت عليهم، ولو وعت هذه الشعوب ما في الإسلام من قيم رفيعة لأقبلت عليه، وهذا ما يتوقع في قادم الأيام، عندما يرون بأم أعينهم كيف أن الإسلام جاء ليخرج العباد من جور الرأسمالية إلى عدل الإسلام... وإن غدًا لناظره قريب.■

الخلافة الراشدة على منهاج النبوة:

هل آن أوانها، وآذن فجرها بالبلج؟!

عادل جميل الغولي- اليمن

في ظل قراءة تاريخ المنطقة العربية، ما يسمى حديثًا بالشرق الأوسط، وتاريخ المسلمين الحديث، نجد أن التاريخ يعيد نفسه ويمشي بنفس النمط مع وجود اختلاف في المقومات لصالح التاريخ الحديث.

فمثلًا، كان العرب في الجاهلية لا قيمة لهم ولا وزن مقارنة بالدول القوية المؤثرة في ذلك الوقت، وهما دولتا الفرس والروم، فقد كانت تلك الإمبراطوريتان مسيطرتين على المنطقة العربية بالتأثير والنفوذ، فكانت إمبراطورية فارس مسيطرة على العراق والبحرين واليمن وأجزاء من شمال شرق الجزيرة، أما إمبراطورية الروم فكانت مسيطرة على الشام ومصر وكل ساحل الشمال الأفريقي إلى المغرب العربي. طبعًا هذه المناطق كانت محتلة مباشرة، وعليها حكام يدينون بالولاء لهاتين الدولتين، أما منطقة وسط شبة الجزيرة العربية التي كانت مهد رسالة الإسلام كانت مجرد قبائل متفرقة ومتناحرة تتقاتل فيما بينها، وتعيش حياة البداوة، فكانوا رعاة غنم، لا صناعة ولا زراعة لديهم، يتقاتلون على أماكن الرعي والحدود التي حددوها لأماكن سيطرة كل قبيلة من المراعي ومصادر المياه، فلا يوجد لديهم فكرة توحدهم أو قائد يجمعهم على الخير، وكانت هناك مملكتان صغيرتان على حدود الفرس والروم، مملكة الغساسنة تتبع الروم، أما المملكة الأخرى فكانت المناذرة وتتبع الفرس. ولم يكن لهاتين المملكتين أي سيادة خارج ما تسمح به الدولة التابعة لها. وكان سكان شبه الجزيرة العربية، سواء القبائل في وسط الجزيرة أم الغساسنة والمناذرة، لا يقوون على مواجهة سطوة الفرس والروم، لا من الناحية العسكرية، ولا من الناحية السياسية؛ ولكن إرادة الله تعالى فوق كل شيء... وهذا هو أصل الموضوع والجزء المهم فيه...

فقبل أن يبعث الله تعالى آخر الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، شهدت شبة الجزيرة العربية حروبًا قامت بين هذه القبائل، واستمرت حتى ظهور الإسلام. ومن هذه الحروب، حروب داحس والغبراء بين عبس وذبيان وانتهت بالصلح، وحرب البسوس بين بكر وتغلب وانتصرت فيها تغلب، وحرب الفجار بين حلف قريش كنانة وحلف غطفان وهوازن وانتهت بالصلح، وحرب يوم حليمة بين الغساسنة والمناذرة وانتصر

فيها الغساسنة، ومعركة يوم بُعاث وهي آخر معركة وقعت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بخمس سنوات... وغيرها من الحروب، وكان بعض هذه الحروب يستمر سنوات طويلة، وكان الناظر إلى هذه الحروب آنذاك يظنها كارثة حلت على القبائل العربية، لكن إرادة الله تعالى كانت عكس ذلك، فقد سقط في هذه الحروب طواغيت كان لهم تأثير كبير في قبائلهم، وكانت هذه الحروب تستمر وتطول وتأكل الأخضر واليابس بسبب قادة القبائل الذين كان يبلغ فيهم الكبر والطغيان والانتصار للباطل مبلغه، وأراد بها سبحانه إعداد رجال حرب مقاتلين أشداء وقادة سياسيين مبدعين، من بين هؤلاء الحفاة العراة الرعاع ليكونوا رجال هذا النبي ورجال دينه؛ فقد نصر الله تعالى نبيه ودينه بهؤلاء الرجال العظماء، وقد استطاعوا بفضل الله نشر هذا الدين في الأرض، كما استطاعوا القضاء على أقوى إمبراطوريتين في العالم، ومرَّغوا أنفيهما بالتراب، ودخل الكثير منهم الإسلام. وشيدوا أقوى وأعظم دولة في العالم، هي الدولة الإسلامية.

والناظر إلى ما تمر به الأمة الإسلامية اليوم يرى، وكأن التاريخ يعيد نفسه، مع فارق أن القبائل العربية كانت لا تؤمن بالله، وكانت تعبد الأصنام. أما اليوم، فالناس مسلمون، فبعد أن استطاع الكافر المستعمر القضاء على الدولة الإسلامية، استطاع أيضًا أن يفرقنا إلى دويلات هزيلة، ورسم لها حدودًا، وجعلها تتقاتل فيما بينها، وجعل لكل دويلة علمًا ونشيدًا وجنسية وجواز سفر... وغرس مفاهيم حب الوطن والوطنية والعرقية والمذهبية، وجعل لهذه المفاهيم المنحطة في مناهج التعليم ووسائل الإعلام صفة التقديس في نفوس الناس، وجعل على رأس كل دويلة حاكمًا عميلًا ليقوم نيابة عنه في نهب الثروات ونشر تعاليم الغرب ومعتقداتهم ووجهة نظره في الحياة، ومسح تعاليم الإسلام من رؤوس أبناء الأمة، وتمكن من تمييع الشباب... وفعلًا وصلوا إلى مبتغاهم، فقد وصل الحال بكثير من شباب الأمة إلى الانحطاط والتفكير في سفاسف الأمور، فتوجَّه الكثير من شباب الأمة إلى متابعة الرياضة والفن وآخر صرعات الموضة، وجعل قدوتهم في هذا الممثلين والممثلات، الساقطين والساقطات، في سينما هوليوود في أميركا، أو بوليوود في الهند، وكان الأصل أن يكون شباب الأمة اليوم كشباب الأمة في الأمس يحملون الإسلام، رسالة هدى ونور، وأن يكون منهم قياديون في الدولة، وعلماء مبدعون في مجال الشريعة، أو العلوم التجريبية في الفلك والرياضيات والكيمياء...

ولكن الحال التي تمر بها الأمة اليوم، وخصوصًا في البلاد التي قامت فيها ثورات على الأنظمة الظالمة، وكان نتاج هذه الثورات سقوط طواغيت أسسوا إمبراطوريات أمنية لحماية أنفسهم من شعوبهم، وأقاموا إمبراطوريات مالية بسبب نهبهم لثروات شعوبهم، ولكن بلمح البصر، سرعان ما انهاروا وسقطوا، ورمى بهم الغرب الكافر في قارعة

الطريق، بعدما خرجت عليهم الشعوب تنادي برحيلهم، ولولا التفاف الغرب الكافر على الثورات لوصل المسلمون إلى مبتغاهم الذي نادوا به، وهو العدل. ومَن غيرُ الخلافة يحقق لهم العدل في الأرض،كانت هذه النقطة الأولى التي غيرت من اهتمامات شباب الأمة، فعرف الشباب أنه من السهل إسقاط الحكام والتغيير عليهم. فما يلزمهم إلا تغيير الأفكار، وانتقلت المنطقة إلى صراع مسلح بعد فترة الثورة، وانقسم الشباب إلى قسمين: قسم يتجنب الخوض في الحروب، وقسم شارك في القتال مع إحدى جهتي الصراع.

ومجمل القول إن الأحداث التي تمر بها الأمة اليوم قريبة من الأحداث التي شهدتها المنطقة قبل قيام دولة الإسلام الأولى، فبعد هذه الثورات حلت الفوضى في هذه الأقطار، ووقعت الحروب، فبدت الأحداث وكأنها تهيِّئ لظهور شباب قادرين على تحمل الصعاب والمشقات. وشهدت الكثير من المناطق تردي الخدمات مثل أزمات الكهرباء والنفط والغلاء والحصار والجوع في بعض الأقطار، واعتادت على سماع دوي الانفجارات من الطائرات أو البارجات أو الصواريخ، ولكن هذه الأوضاع المؤلمة بدت وكأنها تصنع الأمة من جديد في حال ربطتها الأمة بعقيدتها، وهذه الأحداث جعلت الناس يبحثون ويفكرون بحلول جذرية، والأهم من هذا وذاك أن هذه الأحداث قد كشفت للأمة الكثير الكثير من الأقنعة المزيفة من الحكام العملاء أو الشخصيات المضلِّلة من علماء السلطان، أو أبواق الإعلام، أو الجماعات التي تدعي أنها تريد نهضة الإسلام والمسلمين، وإلإسلام منها ومن أعمالها براء، وأحيت فكرة الجهاد بين أوساط الناس، وانكشف للأمة الغربُ الكافر ومنظماتُ الأمم المتحدة، ومبعوثوه الأشرار... والناظر في حالنا اليوم يظن أنها كارثة حلَّت بالأمة؛ ولكنها بتدبير من الله تعالى هي مبشرات خير لإعداد رجال حرب ورجال قيادة، ورجال سياسة لأمة قادرة على الوقوف مع دولتها دولة الخلافة حين إعلانها، فإن الدولة التي نروم لن تقوم إلا برجال أشداء غلاظ على الكفار المستعمرين، رحماء بالمؤمنين. فبعد كل هذه الحروب وسفك الدماء، رغم ما يصيبنا فيها من ألم وحزن، أصبح من السهل أن نربط الأمة بعقيدتها وبدينها وبإسلامها... إننا نرجو من الله تعالى أن تكون ثمرتها عظيمة ومباركة، بأن يقوم رجال أنصار لله، أنصار دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، بواجبهم الشرعي، ألا وهو نصرة هذا الدين، بنصرة العاملين للخلافة، لتقوم الخلافة التي بشرنا بها سيدنا وقائدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞۖ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾.■

فصل الكلام في مشروعية الحكام (١)

أبو نزار الشامي

الحمد لله الذي لا طاعة إلا بأمره، ولا اتباع إلا لشرعه، ولا ولاء إلا لأوليائه وأصفيائه، والصلاة والسلام على ولي الأمر الأول، وصاحب الشريعة الأكمل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أخذتْ مسألة طاعة ولاة الأمر جدلًا زائدًا بعد سقوط دولة الإسلام، وتولي الغرب مقادير البلاد، وتوسيده حكامًا طواغيت ملؤوا الأرض ظلمًا وجورًا، وكرَّسوا أسس الملك الجبري بأمتنا أبشع تكريس، حتى عادت أمتنا بنا أيام الجاهلية الأولى.

وكان من أعجب العجب وسط هذا الحال المزري، أن قامت في وجه الأمة ودعاتها طائفة من المسلمين، يلبسون ألبسة العلماء وينتحلون سمتهم، يصرخون في وجه الأمة المجلودة لا في وجه جلاديها، يقولون لها اصبري وأطيعي واقبلي البغي، وحكم الكفر، وجلد الظهر، طالما أن من يجلدك هو ولي الأمر!!!. وكأن جور الملوك لم يكفِ حتى جاءت هذه الثلة تشد عضدهم وتسقي غرسهم.

الجامية نسبة إلى محمد أمان الجامي، أو المداخلة نسبة إلى ربيع بن هادي المدخلي، أو الرسلانيين في مصر نسبة إلى محمد سعيد رسلان...إلخ ليست الأسماء هي الأهم، بل الأهم هو ماذا ألبست هذه الأسماء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم!!!.

وتتلخص دعوة هذه الثلة والتي تتلطى بالسلف وتحاول الانتساب إليهم بالآتي:

١- الولاء الحاد للحكام بوصفهم حكامًا، والدفاع عنهم وتبرير إثمهم وتحريم الخروج عليهم، أو حتى منافستهم، بل واتهام من يقف في وجههم بالخوارج وكلاب أهل النار، وصولًا إلى إهدار دمهم، ولو كانوا من العلماء الأنقياء.

٢- التأكيد على شرعية وجود هؤلاء الحكام، ولو اغتصبوا الحكم وسلبوا الأمة سلطانها.

٣- الطاعة المطلقة للحكام مهما طغَوا وبغَوا وأكثروا في الأرض الفساد، حتى لو حكَموا بالكفر ووالَوا أعداء الله، بل قد ذهب بعضهم إلى القول بطاعتهم ولو كانوا كفارًا!!!.

إلا أن ما اجتمع عليه قول غير الغلاة منهم،

هو أن الحاكم يجوز الخروج عليه إن توفرت خمسة شروط فقط:

وهذه الشروط هي:

١. ضرورة اعتماد رؤية الأمر المخالف للشرع والذي يرتكبه الحاكم دون الاعتماد على السماع من فلان وعلان، وفي الحديث الصحيح الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه إشارة إلى ذلك حينما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله: «**إلَّا أن ترَوا كفرًا بَواحًا عندكم من الله فيه برهان**» [صحيح البخاري].

٢. أن يكون الأمر الذي يراه المسلمون على الحاكم كفرًا، أي ليس بالفسوق أو العصيان الذي لا يخرج عن الملة، كرؤية الحاكم يسجد لصنم مثلًا، أو يسب الله ورسوله، أو غير ذلك من الأمور الكفرية.

٣. أن يكون كفر الحاكم بواحًا وفق الحديث الشريف، ومعنى أن يكون بواحًا أي صريحًا لا مجال فيه للتأويل، فقد اعتقد الإمام أحمد بن حنبل في عصره بكفر القائل بخلق القرآن، لكنه لم يكفر حاكم المسلمين المأمون حينما قال بخلق القرآن لأنّه متأول في ذلك.

٤. أن يكون عند المسلمين برهان واضح على كفر الحاكم بالدليل القاطع، والحجة البينة.

٥. ألا يؤدي الخروج على الحاكم إلى مفسدة وشر أكبر من شر بقائه في الحكم.

وما ميز أصحاب هذه الشبهة هو تسلحهم بكم غزير من النصوص الشريفة قرآنًا وسنة، بالإضافة إلى أقوال جمع من أعلام الأمة السابقين وسلفها الصالح، ثم يقومون بإلقاء هذه النصوص رشقًا في وجه من يخالفهم أو يتعجب منهم، وهو يرى هذه الجرأة والقسوة التي يمارسونها على المسلمين في الوقت الذي يرى حلمهم ولينهم مع أكابر الطواغيت!!!.

من أشهر هذه النصوص:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**عليك بالطاعة، في منشطك ومكرهك، وعسرك ويسرك، وأثرة عليك**». حديث غاية في الصحة، أخرجه النسائي، وأحمد!

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**». وفي لفظ: «**الأمير**»، وفي لفظ: «**الإمام**»، بدلًا من «**أميري**»، حديث غاية في الصحة، متفق عليه كذلك، كما أخرج مثله النسائي، وابن ماجه، وأحمد.

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية**»، حديث صحيح، غاية في

الصحة، متفق على صحته. وفي رواية لمسلم: «**فإنه من خرج من السلطان شبرًا: مات ميتة جاهلية**»، وأخرج مثله أحمد بأسانيد غاية في الصحة.

«**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس!**»، **قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟!، قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع**». رواه مسلم وأخرج الحاكم قريبًا منه من طريق أبي سلام.

ومن أقوال العلماء:

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في (**منهاج السنة**): «ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لايرون الخروج عن الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة. ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»

وهكذا يسدرون في دعوتهم، ويشرسون في خصامهم، يساعدهم في ذلك ما نعيشه اليوم من الانحطاط الفكري وغربة المفاهيم الإسلامية عمومًا، وما يتعلق منها بالسياسة الشرعية بشكل خاص، فيستغل هؤلاء هذا الحال أيما استغلال، ويجدون لشبهاتهم أفضل جو وأخصب تربة.

وأمام هذه النصوص الصريحة التي يطرحونها في وجه المخالف، يقف المسلم حيران أسفًا، حيران لأن ما يذوقه من بطش هؤلاء الطواغيت لن يزول بالسكوت والطاعة بل سيستفحل ويزيد... حيران لأن ما زرعه الإسلام في نفسه من شموخ يأبى الركوع لغير الله والسكوت على معصيته، كيف لا وهو يقرأ سيرة المصطفى الذي ثار ضد أئمة الباطل ورفض الرضوخ لهم، أيعقل أن يأمرنا الله ورسوله بالانصياع لمن يحارب الله ورسوله؟!!

أما أسفًا، فلأنه يسمع نصوصًا صحيحة لا يملك ردها ولا تفنيدها!!

وهكذا تخور القوة التغييرية ويصبح تغيير الحرام حرامًا!!!، وتنقلب رأسًا على عقب طاعة الله إلى طاعة أعدائه!!!، وتتمزق هالة الجلال التي تتألق بها مقولة الفارس البطل ربعي بن عامر «**إن الله ابتعثنا لإخراج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد**»!!!.

وهنا لا بد من التنبيه إلى أمر هام، وهو إننا نحن أمة النص والسند، لأجل ذلك فليس من الحكمة أن يكون الرد الابتدائي على هذا الطرح هو تسفيه قائليه وفضح علاقاتهم المشبوهة مع الحكام، قبل تفنيد شبهاتهم بشكل كامل وتام، فإن الكثير ممن تبع هذه الفرية قد فعل ما فعل بدافع احترام النص ولو خالف الهوى والنفس؛ لأجل ذلك كان من الخطأ أن يتم التعاطي معه بغير دراسة النص والتماس مدلولاته، وإلا كان الهجوم لصالحه،

بل وقد يظهر بأنه أشد التزامًا بالوحي الشريف منا نحن المستهجِنين الذين يقدمون العقل على الدليل!!

لو أردنا استعراض المسائل والنصوص التي حاك منها هؤلاء شبهتهم لوجدناها تتمحور حول التالي:

١. النصوص الموجبة لطاعة أولياء الأمور
٢. أحاديث المنازعة:

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه: **«بايعنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى أن لاننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم»** أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، والطبراني، وغيرهم.

وقد فهموا (تروا كفرا بواحًا...أي كفر الحاكم)

٣. أحاديث المنابذة:

جاء في «صحيح مسلم عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» قيل: يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة. وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه: فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة».**

وبالطبع فقد فسروا: أقاموا فيكم الصلاة، أي سمحوا لنا بالصلاة.

٤. مسألة طاعة الحاكم المتغلب.

وبعد أن قمت بتتبع طريقة تعاطيهم مع النصوص، ومع إنعام النظر في دياجير هذه الشبهة محاولًا التوصل إلى مكمن الزلل، فقد اهتديت بتوفيق الله إلى أن الخطأ عندهم يضرب الخطوات الثلاث لطريقة الاجتهاد الفقهي.

- فهم الواقع أو تحقيق المناط.
- استحضار النصوص ودراستها مع التأكد من عدم تعارضها، بالإضافة إلى التعاطي الأصولي في حال تعارضها.
- إنزال النصوص على الواقع.

الخطأ المفصلي في فهم الواقع أو تحقيق المناط:

ولعل هذا هو المنزلق الأخطر، بل ويكفي وحده لدحض الشبهة من أصولها.

من هم (أولو الأمر) الذين تجب طاعتهم؟

المعنى الشرعي:

أولو الأمر: أي أصحاب التصرف في شأن الأمة، الذي يملكون زمام الأمور شرعًا، وبيدهم قيادة الأمة.

وقد ورد هذا المصطلح في الشرع في مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «**ثلاث خصال، لايغل عليهن قلب مسلم أبدًا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة ...**».

ويظهر هذا المقصد بجلاء في قصة عرض

الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على بني عامر، كما عند ابن هشام، يقول بيحرة بن فراس، من قبيلة بني عامر بن صعصعة: (أرأيت إن نحن بايعناك على **أمرك** ، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا **الأمر** من بعدك؟ قال: «**الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء**»، قال: فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان **الأمر** لغيرنا، لا حاجة لنا **بأمرك**، فأبوا عليه. ومعلوم أن الأمر المقصود هو الحكم والسلطان، بدليل أن قبول الأنصار لما رفضته بنو عامر تمخض عن إقامة هذا الحكم في المدينة.

كما يظهر في الحديث المبشر العظيم «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، إلا أدخَله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليلٍ، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلامَ، وذلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**» رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي، وصحَّحه الحاكم والعلامة الألباني

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. فقد ذهب جمع من السلف، منهم أبو هريرة وابن عباس، إلى أن المقصود هم الأمراء، ورجحه الإمام الطبري، والنووي، وهو قول جمهور السلف والخلف.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المقصود بأولي الأمر هم العلماء، غير أن النظرة المدققة تظهر أن العالم لا يطاع، ولكنه يُتَّبَع ويقلد، ولا يلزم توجيه الطاعة له كما تكون للأمير فيما يسن من قوانين أو يتبنى من أحكام.

من هنا، فإن ولي أمـــر المسلمين الذي تجب طاعته هو الذي يتولى أمر دين المسلمين؛ لأن هذا هو أمر المسلمين، فليس لهم أمر غير دينهم، فبه صاروا أمة واحدة من دون الناس، وبه تحققت شخصية أمتهم الحضارية، وبه وُجـد كيانهم السياسي، أما من يتولى أمرًا آخر، كالذي يحكم بالنظام الدستوري العلماني، أيًّا كان، أو بالنظام الديمقراطي الليبرالي الغربي، أو الفكر القومي الاشتراكي، أو غير ذلك مما هو سوى النظام الإسلامي المحتكم إلى شريعة الله تعالى، فهو ولي أمـر ما تولاه ، ليس هو ولي أمر المسلمين، وهو يدخل في قوله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾ ـ فكيف يُولى أمر أمة الإسلام، وقد تولى أمر غيرها؟!!

من هنا ينبغى أن يعلم أن قول الله، أو قول رسوله، أو قول الفقهاء الثقات: «**ولي الأمر**» أو «**الإمام**» أو «**الخليفة**» أو ما شابه ذلك ــ إذا أطلق ــ أنما يقصد به الأمير أو الإمام الشرعي الذي استكمل الأوجه الشرعية، ولا يجوز أن يظن بالله ورسوله أنهم قصدوا أئمة الكفر، أو سلاطين الفسق والجور، أو مغتصبى السلطة، وغيرهم من المجرمين، بمثل هذه الألفاظ إذا جاءت مطلقة. أما أوجه الشرعية التي ينبغي أن يستكملها الحاكم حتى يكون إمامًا، أو أميرًا

شرعيًا فوجهان:

١. **شرعية الحاكم:** وذلك بأن يكون الحاكم مستكملًا لشروط الانعقاد، بأن يكون رجلًا مسلمًا بالغًا عاقلًا حرًا عدلًا من أهل الكفاءة. كما يشترط أن يعقد له الأمر ببيعة شرعية عن رضى واختيار.

فإذا اختلت شروط الانعقاد، أو تولى الحاكم على أساس نظام كفري، أو الانتخاب الديمقراطي المحض، أو كان النظام إسلاميًا، ولكنه وثب على السلطة فاغتصبها دون أن يأخذ رضى المسلمين، فهو حاكم غير شرعي، وحكمه حكم المعدوم شرعًا.

٢ـ شرعية النظام: وذلك بأن يكون النظام إسلاميًا يطبق الشرع في الداخل، أي يحقق سيادة الشرع وحاكميته، ويكون الحكم والسلطان بيد المسلمين في الداخل، ويكفل عزة الإسلام والمسلمين في العلاقات الدولية؛ وذلك بأن تكون الدولة الإسلامية دولة مستقلة ذات سيادة بالمعنى الدولي، أي دولة مستقلة تامة الاستقلال، فلا يجوز أن تكون مستعمرة أو محمية أو تحت الوصاية أو الانتداب من قبل الكفار أو أي سلطة كافرة، أو غير ذلك مما ينقص السيادة، أي أن تكون الدار دار إسلام، ولا يجوز أن تكون دار كفر مطلقًا

وبتحقيق مناط هذه الشروط في حكامنا اليوم يتبين بما لا يدع مجالًا للشك أن حكام اليوم:

- تسلطوا على الحكم بالقوة أو الوراثة رغم سخط الناس.
- من تم انتخابه أو بيعته، فقد بويع على الدستور الوضعي.
- حكموا بالقوانين البشرية التي تجعل الإسلام أحد مصادر التشريع وليس أوحدها، وهذه التشريعات هي كفر بواح، كما تحاكموا إلى الشرائع الدولية المحاربة للإسلام والمسلمين، أو المناقضة لشرع الله كمنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن...
- كل حكامنا يفتقدون شرط العدالة لفسقهم أو كفرهم فلا تنعقد لهم بيعة ابتداء.

وعليه، وقبل القفز العالي إلى الاستدلال بنصوص طاعة أولي الأمر، لا بد من التحقيق أولًا، هل حكامنا هؤلاء يستحقون هذا المقام؟

وبناء على الشروط الشرعية آنفة الذكر، فلا يوجد اليوم على وجه الأرض ولي أمر شرعيٌ مطلقًا، وإنما يوجد طواغيت سفهاء عطَّلوا شرع الله وحكموا بشرائع الجاهلية.

وإن الاستدلال بنصوص طاعة ولاة الأمر وإنزالها في حق حكامنا اليوم هو كمثل من ينزل أحكام طاعة الزوجين في حق الزناة!!!

وأي أمر بطاعتهم هو أمر بمعصية، وتشريع لباطل، ونصرة لحكم الكفر، وتعاون على الإثم والعدوان، بالإضافة إلى أنه لعب بأحكام الله، وخيانة للأمة، وتقوُّل على الله بغير علم.

هذا وإن هذا المبحث (تحقيق مناط ولاة الأمر) كافٍ وحده لهدم هذه الشبهة رأسًا على عقب، وبيان مدى الانحراف والجرأة على الله التي وقع فيها مقدِّسو الحكام وكهنة الطواغيت.■

اسم "محمد" يكتسح مواليد العاصمة النرويجية

كشفت إحصاءات حديثة في العاصمة النرويجية أوسلو أن معظم الذكور في المدينة يحملون اسم "محمد"، منذ سنة ٢٠٠٨م، وتفوَّق اسم "محمد" على أسماء أخرى دأبت على الحلول في الصدارة بهذا البلد الإسكندنافي مثل أوسكار وأكسل وجاكوب للسنة العاشرة على التوالي. ففي هذه المدينة التي يصل سكانها إلى ٦٢٤ ألف نسمة، يعيش أكبر عدد من المهاجرين بالبلاد ١٩٠ ألف مهاجر ويمثلون ٣٠,٤٪ من سكان المدينة. ويشكل المهاجرون الباكستانيون والصوماليون والعراقيون والمغاربة الجزء الأكبر من الجالية المسلمة في البلد الأوروبي.

الوعي: إن انتشار الإسلام يفرض نفسه على كل صعيد، وفي كل العالم. وهذا ما يثير قلقًا وهاجسًا في الغرب الذي يعتبر أن هجرة المسلمين إلى بلاده تنقل الحرب معهم إلى داخل أسواره.■

رئيس المجلس الأعلى للدولة بليبيا يستقيل من "الإخوان المسلمين"

أعلن رئيس المجلس الأعلى للدولة في ليبيا خالد المشري استقالته وانسحابه من جماعة الإخوان المسلمين، مؤكدًا في الوقت نفسه استمراره في "العمل السياسي والحزبي". وقال المشري إن استقالته جاءت "انطلاقًا من المقتضيات الوطنية، الفكرية والسياسية، ومن باب الصدع بالقناعة، والوضوح مع المواطن الليبي". كما شدد على ضرورة تنفيذ الجماعة لمراجعتها المعلنة قبل سنوات، إبان انعقاد مؤتمر الجماعة في بنغازي عام ٢٠١٢م.

الوعي: هذه الاستقالة، وهذا الانسحاب، وهذه الدعوة للمراجعة، هو من ضمن حملة غربية شديدة الوطء على العمل الإسلامي السياسي بهدف استئصاله. وانتقال المشري إلى العمل الوطني هو ارتكاس وسقوط له.■

فرنسا تستدعي سفيرة إيطاليا بعد تصريح "إفقار أفريقيا"

نقلت وكالة "فرانس برس" عن مصدر حكومي فرنسي قوله إن وزارة الخارجية استدعت السفيرة الإيطالية لديها على خلفية تصريحات نائب رئيس الحكومة الإيطالية لويجي دي مايو، الذي هو أيضًا وزير التنمية الاقتصادية في إيطاليا، قال فيها إن فرنسا تسببت بإفقار القارة الأفريقية، مما أدى في نهاية المطاف إلى تفاقم أزمة المهاجرين. وأعرب دي مايو عن الأمل في

أن يفرض الاتحاد الأوروبي "عقوبات" ضد الدول التي تقف وراء مأساة المهاجرين في البحر المتوسط، من خلال "تهجيرهم" من أفريقيا، بدءًا بفرنسا. وقال دي مايو: "إن فرنسا لم تكفَّ عن استعمار عشرات الدول الأفريقية". وقال: "هناك عشرات الدول الأفريقية التي تطبع فيها فرنسا عملة محلية وتموِّل بذلك الدين العام الفرنسي". وأضاف: "لو لم يكن لفرنسا مستعمرات أفريقية؛ لأن هذه هي التسمية الصحيحة، لكانت الدولة الاقتصادية الـ١٥ في العالم، في حين إنها بين الأوائل بفضل ما تفعله في أفريقيا".

الوعي: هذا الاتهام لفرنسا التي تدعي الحفاظ على حقوق الإنسان وينظِّر ماكرون به أينما حلَّ هو اتهام صحيح، وهذا هو ديدن جميع دول الغرب الرأسمالية، بما فيها إيطاليا، التي يقوم غناها على إفقار الدول الأخرى واستعمارها. ■

التمييز ضد الأقليات في بريطانيا لم يتغير منذ ٥٠ عامًا

نشرت صحيفة الغارديان تقريرًا يكشف التمييز في الوظائف ضد الأقليات في بريطانيا. ويقول التقرير إن البريطانيين السود وذوي الأصول الآسيوية يتعرضون لتمييز "مذهل" في سوق العمل، وإن درجة التمييز هذه لم تتغير منذ الستينات، حسب دراسة ميدانية أجريت حديثًا، وأشرف على هذه الدراسة باحثون من جامعة أوكسفورد، ووجدوا أن الباحثين عن عمل، من غير العرق الأبيض، يضطرون إلى إرسال طلبات أكثر بثمانين مرة مقارنة بغيرهم من البريطانيين، ليتلقوا ردًا إيجابيًا من أصحاب العمل، وقارن الباحثون نتائج دراستهم بدراسة مماثلة أجريت في عام ١٩٦٩م، فوجدوا أن التمييز ضد السود وذوي الأصول الآسيوية، خاصة الباكستانيين، لم يتغير منذ أكثر من ٥٠ عامًا. ويضيف الكاتب أن هذه النتائج تثير القلق من أن التشريعات والقوانين المتعلقة بالعلاقات العرقية التي وضعت لم تكن لها فائدة، ووجد الباحثون أيضًا أن أعلى معدلات التمييز كانت ضد الأشخاص من الدول ذات الأغلبية المسلمة، وهو ما يعكس "سلوكًا قويًا معاديًا للمسلمين" ظهر في العديد من استطلاعات الرأي الأخيرة.

الوعي: انظروا إلى الفارق بين الرأسمالية التي تدعي الحفاظ على حقوق الإنسان، وهم أبعد ما يكونون عنه، وبين الإسلام الذي يعتبر الشعوب أنها وجدت لتتعارف، والتفاضل فيه للتقوى... فأيهما يجب أن يسود؟!.■

البشير: وسائل إعلام تعمل لاستنساخ ربيع عربي بالسودان

اتهم الرئيس السوداني عمر البشير وسائل إعلام بسعيها لتضخيم المشاكل في بلاده، بهدف استنساخ ربيع عربي في السودان. جاء ذلك في مؤتمر صحفي بثته وسائل إعلام محلية بمصر عقب محادثات مع عبد الفتاح السيسي، بقصر الرئاسة شرقي القاهرة. وقال البشير: "هناك مشاكل ببلادنا، لكن ليست بالحجم الذي يعرضه الإعلام لاستنساخ الربيع العربي في السودان". وأضاف: "معظم الشعب السوداني واعٍ لما يحدث ويرى مآلات دول الربيع العربي، ويفوت الفرصة على كل من يحاول زعزعة استقرار البلاد". وتابع: "شرحنا لمصر حقيقة الأوضاع بالسودان بعيدًا عما يثار في الإعلام، ونشكر لها دعمها لاستقرار البلاد منذ بدء الأزمة". وتعد الزيارة الخارجية الجارية التي تستغرق يومًا واحدًا، الثانية للبشير منذ اندلاع احتجاجات بالسودان منددة بالأوضاع الاقتصادية ومطالبة برحيله، في ١٩ ديسمبر/كانون ثان الماضي، بعد أيام من زيارة قطر...

الوعي: إن البشير يزور الدول التي يمكن أن تساعده في قمع الثورة، والتي يمكن أن يشكل معها الثورة المضادة على الشعب السوداني الأبيّ الطيِّب.■

زيارة ماكرون لمصر دعم للديكتاتور السيسي وأملٍ في إثارة الملف الحقوقي معه

وصل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى مصر في زيارة تعد الأولى له إلى هذا البلد منذ وصوله إلى السلطة، وتعد دعمًا لـ "ديكتاتورية" الرئيس المصري السيسي، وكان قد سبقتها زيارة هذا الأخير لباريس في نهاية عام ٢٠١٧م. وهذا التبادل في الزيارات هو تعبير عن توافق ظهر من خلال التصريات المتبادلة والتي أقلها الصادرة من الرئيس الفرنسي. ففي زيارة السيسي في ٢٠١٧م رفض ماكرون "تقديم الدروس لبلد يواجه تهديداً إرهابياً"، كما قال، ولكن مع امتداد قمع السيسي للمعارضة حتى شملت الإسلاميين وغير الإسلاميين، وبما أنه يعتبر أن قمع الإسلاميين لا يتعلق بحقوق الإنسان فإنه دعا السيسي إلى الكف عن انتهاك حقوق الإنسان فقط فيما يتعلق بجانب غير الإسلاميين، واعتبار أن القمع الشامل للمعارضة "يقوِّض فعالية حرب الدولة المصرية ضد الإرهاب الإسلامي والتعصب الديني"، وفق مصادر في الإليزيه.

الوعي: إن حكام الغرب لا يقلون عهرًا عن حكام دول المسلمين، بل هم الأساتذة وحكام المسلمين هم تلاميذهم النجباء. وإن مثل هذه الزيارات لن تدعم السيسي ولا أمثاله بل هي تفضح ماكرون وأمثاله من حكام الغرب.■

قال الله تعالى

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

ذكر الله سبحانه آية عظيمة فيها صفات علية له جلّ شأنه، فهو وحده سبحانه المستحق للعبودية المتفرد في ألوهيته لا إله إلا هو الحي القائم بتدبير شؤون خلقه، الذي لا يعتريه فتور ولا غفلة أو نوم، المالك للسموات والأرض وما فيهن ومن فيهن، صاحب العظمة والجبروت الذي لا يتجاسر أحد على الشفاعة عنده دون إذنه، العليم الخبير بكل مخلوقاته، وما قبلها وما بعدها، والذي لا يطلع على علمه أحد إلا بمشيئته سبحانه، المحيط بكل شيء، الذي لا يعجزه ولا يثقل عليه حفظ السموات والأرض ومن فيهن وما فيهن، العلي في ملكه وسلطانه، العظيم في عزه وجلاله، هو سبحانه كما وصف نفسه المنزه المتعالي عن كلّ وصف لا يليق بعظمته، الكبير المتعال العلي العظيم.

وهي أعظم آية في القرآن، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق أبي ذر أنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم قال ﷺ «**آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم**» وأخرجه كذلك من طريق أُبَيّ ومن طريق أبي أمامة رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين. وأخرج نحوه الدارمي في سننه.

ولا يتعارض هذا مع كون الآيات كلها كلام الله، فالقرآن كلام الله سبحانه، وهو من حيث هذا الاعتبار عظمته واحدة، غير أن الله سبحانه شاء أن يجعل أجر بعض آياته أكبر من أجر الآيات الأخرى لحكمة يعلمها سبحانه.

فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه: "**لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. ثم قال رسول الله ﷺ: سورة** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾

..."[1]. وكما ذكرنا في الحديث السابق عن آية الكرسي أعظم آية في القرآن. وهذا يعني أعظم أجرًا، وهو لا يتعارض مع كون آيات القرآن كلها كلام الله. فهي سواء من حيث كونها كلام الله، ولكنها تتفاضل أجرًا كما شاء الله، ولا تعارض بين الحالتين.

وقد جاءت هذه الآية الكريمة بعد ما ذكر في آخر الآية السابقة ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ تقريعًا للكفار وبيانًا لعظيم ضلالهم وتماديهم في غيهم حيث وضعوا مخلوقات الله في مرتبة خالقهم العظيم الذي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ فكيف يكفرون ويعبدون غير الله من مخلوقاته أو يشركون به مخلوقاته فيضعوا الأمور في غير موضعها ويكونوا من الظالمين.

فالله وحده المستحق للعبودية المتفرد في ألوهيته والكافرون هم الظالمون.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي أن الله سبحانه هو وحده المستحق للعبودية.

و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ مبتدأ ثان وخبره محذوف تقديره معبود أو موجود، ﴿لَآ﴾ نافية للجنس تعمل عمل إن، ﴿إِلَٰهَ﴾ اسم لا النافية للجنس مبني على الفتح وخبرها محذوف تقديره موجود أو معبود وهو مرفوع. والعرب تجعل موضع لا النافية للجنس واسمها (مبتدأ مرفوع) ويكون خبر ﴿لَآ﴾ النافية المحذوف هو خبر (لا واسمها) كذلك. و﴿هُوَ﴾ في محل رفع بدل من موضع ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ وخبر المبتدأ الأول هو ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وتكون ﴿إِلَّا﴾ هنا أداة استثناء ملغاة (لا عمل لها).

﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ صفتان لـ(هو).

﴿ٱلۡحَيُّ﴾ الذي له الحياة الدائمة، أي الذي لا سبيل عليه للفناء، وأصلها (حيو) فقلبت (الواو) المتطرفة المنكسر ما قبلها (ياء) وأدغمتا ولذلك كتبت (الحياة) بواو في رسم المصحف لهذا الأصل، ويؤيده (الحيوان) لظهور هذا الأصل فيه.

﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ صيغة مبالغة للقيام، وأصله (قيووم) على (فيعول) فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواء ياء وأدغمت، وهي تعني القائم بتدبير ما خلق.

﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ السنة فتور يسبق النوم وليس النوم أي النعاس، والآية تفيد شمول النفي لكلّ منهما فالله سبحانه لا يعتريه نعاس سواء أكان مؤديًا للنوم أم لم يؤدّ، كما أنه سبحانه لا يعتريه نوم.

والأصل في (سنة) (وسنة) ثم حذفت الواو ولذلك يقال للذي يغالبه النعاس (وسنان) للأصل المذكور.

وتكرار (لا) لإفادة شمول النفي لكل منهما، أي الإحاطة بكليهما مجتمعتين ومنفردتين بخلاف لو كانت (لا تأخذه سنة ونوم) فلا تفيد التنصيص على نفي الاثنتين منفصلتين، بل قد تنفيهما معًا أي لا تأخذه سنة ونوم في آن، وأما ما في الآية الكريمة ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ فالنفي

١ البخاري: ٤٢٨٠، ٤٣٣٤

شامل للنعاس وحده أو للنوم وحده أو كليهما فلا يعتري الله سبحانه نعاس أدى إلى النوم، أم لم يؤدّ كذلك لا يعتريه سبحانه نوم.

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي أن الله سبحانه مالك كل شيء: السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن. فاللام تفيد الملك.

وتكرار (ما) لإزالة الالتباس من كون الله سبحانه يملك السموات وما فيهن والأرض دون ما فيهن فيما لو كانت (له ما في السموات والأرض) إنما بتكرارها يقطع بالمقصود من أن الله سبحانه مالك السموات والأرض وما في السموات وما في الأرض.

وأما قولنا إن الآية تفيد أن الله مالك السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن، أي العاقل وغير العاقل، علمًا بأن الأداة المستعملة هي (ما) وهي لغير العاقل، فإن ذلك لسببين:

الأول: تغليب مكونات الكون المادية غير العاقلة على العقلاء لإبراز قلة حجم العقلاء بالنسبة لغيرهم من مخلوقات الله غير العاقلة.

وأما السبب **الثاني** فبقرينة ما جاء بعدها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ الخاصة بالعقلاء، وهذا لأن ضمير الجمع (هم) خاص بالعقلاء يدلّ على أن ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تشمل العقلاء.

والآية تفيد أن كلّ شيء مملوك لله سبحانه، وما كان مملوكًا لغيره لا يستحق أن يعبد، وذلك تقريعًا لهم على عبادتهم الأصنام والكواكب وغير ذلك من المخلوقات.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ الاستفهام استنكاري أي لا أحد يجرؤ على الشفاعة عند الله سبحانه دون إذنه، دلالة على عظمة الله وكبريائه سبحانه كما في حديث الشفاعة: "**آتي تحت العرش، فأخر له ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تُشفَّع. قال: فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة**"[٢].

والآية تفيد أن هناك شفاعة لكنها بإذن الله، فرسول الله ﷺ يؤذن له فيشفع كما في الحديث.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ الضميران عائدان على كلّ من يعقل من قوله سبحانه: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى أن الله سبحانه يعلم ما كان قبلهم ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وما يكون بعدهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي لا يستطيع أحد أن يطلع على شيء مما يعلمه الله إلا أن يشاء الله تعليمه إياه، فما يعلمه الله سبحانه لا يستطيع أن يصل إليه أحد إلا بمشيئة الله سبحانه ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ العلق/آية٥ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه/آية١١٤.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ و﴿كُرْسِيُّهُ﴾ من المتشابه، ووفق ما ذكرناه في المقدمة

٢ البخاري: ٦٨٦١

حول طريقة التفسير المعتمَدة، فإننا سنعمد إلى الحقيقة الشرعية أولًا، أي نبحث عن أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة الواردة في تفسير (الكرسي)، فإن وجدناها أخذنا بها وإلا عمدنا إلى اللغة العربية، وذلك لأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ يوسف، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ الشعراء.

وقد وردت في تفسير الكرسي أحاديث، لو صحت لكانت هي المعتمدة في التفسير، ولكن لا تخلو من مقال، وأقربها إلى الصواب ما يلي:

* أخرج البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) من طريق أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، أي ما أنزل عليك أعظم؟ قال ﷺ: «**آية الكرسي**». ثم قال: «**يا أبا ذر، ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**».

* وأخرجه كذلك ابن حبان في صحيحه. وذكره نقلًا عنه ابنُ حجر في فتح الباري وأضاف (وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير ...).

ولو صح هذا الحديث لأخذنا به وكان المعنى أن الكرسي مخلوق عظيم خلقه الله سبحانه أوسع من السموات والأرض وما هي منه إلا كحلقة في فلاة، ولَكُنّا آمنا بهذا المعنى للكرسي ولم نتجاوزه.

ولكن البيهقي ذكر الحديث بسندين: الأول فيه يحيى بن سعيد السعدي البصري، قال العقيلي لا يتابع عليه، وقال ابن حبان يروي المقلوبات والملزقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، «وقد انفرد عن ابن جريج» وقال ابن عدي يعرف بهذا الحديث وهو منكر من هذا الطريق. (انظر لسان الميزان ج٦ ص٣١٦ رقم ٩١٤٤/٧٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).

والسند الثاني فيه إبراهيم بن هشام وهو كذلك لا يُحتج به كما ورد عند أبي زرعة وأبي حاتم والذهبي. (انظر لسان الميزان ج١ ص١٢٤ رقم ٣٧٣ دار الفكر للطباعة والنشر).

وأما ابن حبان فقد ذكر في حديثه إبراهيم بن هشام كذلك، وهو لا يُحتج به كما ذكرنا أعلاه.

أما سعيد بن منصور فقد ورد الحديث في سننه قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد قال (ما السموات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة). وهذا السند ضعيف. قال أبو حاتم الرازي رحمه الله «إن الأعمش قليل السماع من مجاهد، وعامة ما يروي عن مجاهد مدلَّس». (انظر علل الحديث لابن أبي حاتم ج٢ ص٢١٠ رقم ٢١١٩، وانظر سنن سعيد بن منصور المجلد ٣ ص٩٥٢ رقم ٤٢٥، الهامش تحقيق الدكتور سعد آل حُميِّد دار الصُّمَيعي للنشر والتوزيع).

وعليه فلا تخلو الأحايث الواردة في تفسير الكرسي من مقال. وإذن فسنعمد إلى اللغة في تفسير (الكرسي):

إن العرب تطلق الكرسي على العلم كما جاء في القاموس على اعتبار أن الذين يجلسون على

الكرسي هم العلماء من باب العلاقة المحلية، فيطلَق الكرسي ويراد به الحالّ فيه مجازًا، ومنه الكراسة لأنها تضم العلم.

ويكون معنى ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ أي (وسع علمه السموات والأرض). وبخاصة وأن قوله تعالى قبلها هو: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾، فالكلام بدأ عن علم الله وعدم الإحاطة بعلمه سبحانه. وهكذا يكون معنى أجزاء الآية متتابعةً: أن الله سبحانه يعلم كل شيء عن مخلوقاته وهم لا يحيطون بعلم الله سبحانه، فعلم الله قد وسع السموات والأرض، وهذا للدلالة على سعة علم الله وعدم الإحاطة به. وعليه فإن تفسير الكرسي بالعلم له وجه صحيح مستقيم.

وهذا ما نرجحه في تفسير (الكرسي) أي أنه (العلم)، ونقول نرجحه لأن المتشابه يرجَّح معناه ولا يقطع به لأنه متشابه.

وقد نقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه (العلم) أي أن كرسيه يعني علمه سبحانه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي أن من يخلق هذا المخلوق العظيم (الكرسي) الذي يسع السموات والأرض لا يعجزه ولا يثقل عليه حفظ السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن.

﴿يَـُٔودُهُۥ﴾ أي يثقله، يقال: آدني الشيء بمعنى أثقلني، وتحملت منه المشقة.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي في القدرة والمنزلة.

﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ القاهر الغالب للأشياء. تقول العرب: علا فلان فلانًا أي غلبه وقهره.

﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ ذو العظمة، وكلّ شيء بالإضافة إليه حقير، فهو سبحانه العلي في ملكه وسلطانه العظيم في عزه وجلاله.

وكلمة أخيرة نقولها: إن المتدبر لهذا القرآن العظيم يجد أن إعجازه يأخذ بالألباب، ففي هذه الآية الكريمة خمس جمل مستقلة متتابعة دون استعمال حرف عطف ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ والآية قوية عظيمة.

ونقرأ في آية أخرى ست واوات ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ هود، كذلك قوية عظيمة، وهذا ما لا تستطيعه العرب، فهم إذا أكثروا استعمال حروف العطف في الجملة ضعفت وأصبحت ركيكة في ألفاظها، وإذا وضعوا جملًا مستقلةً متتابعةً وراء بعضها مصفوفة دون ربط بأحرف العطف أصبحت ضعيفة من حيث المعنى.

إلا أن هذا القرآن العظيم معجز في أسلوبه لفظًا ومعنىً، حجة على الناس ينطق بالحق ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ فصلت/آية٤٢، فسبحان الله!! سبحان الله!!■

«أفلح إن صدق»

حديث طلحة بن عُبَيد الله قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، من أهل نجد، ثائر الرَّأس، يُسمع دويُّ صوتِه، ولا يُفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يَسألُ عن الإسلام، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**خمسُ صلواتٍ في اليوم واللَّيلة**»، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلاَّ أن تَطوَّع**»، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**وصيام رمضان**»، قال: هل عليَّ غيرُه؟» قال: **لا، إلاَّ أن تَطوَّع**»، قال: قال: **وذَكر رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، الزكاة**، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلاَّ أن تَطوَّع**»، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أَزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**أَفْلَحَ إنْ صَدَق**». أخرجه البخاري.

يستدل بعض الناس بذلك الحديث على أنه مهما فعل الشخص من الموبقات والمعاصي، وكان يصلي ويصوم ويزكي، فله الجنة. والجواب هو: أن الحديث لا دلالة فيه على ما ذكر. فالحديث له روايات متعددة، لا يتم الاستدلال بواحدة من رواياته وإلغاء غيرها من الروايات الصحيحة. وعلينا عند تفسير أي حديث أن نحيط بجميع روايات الحديث علمًا، وأن نرجع لكلام أهل العلم فيه لتسديد الفهم. هذا وقد أورد العلماء هذا الحديث، وأجابوا عنه بما يشفي غليل طالب الحق.

يقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ: لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَيْسَ في هذا الحديث جميع الواجبات، ولا المنهيات الشَّرْعِيَّةِ، وَلَا السُّنَنِ الْمَنْدُوبَاتِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ، فِي آخِرِ هَذَا الْحَدِيثِ زِيَادَةٌ تُوَضِّحُ الْمَقْصُودَ، قَالَ: فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ شَيْئًا. فَعَلَى عُمُومِ قَوْلِهِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَقَوْلِهِ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ، يَزُولُ الْإِشْكَالُ فِي الْفَرَائِضِ.

فيتبين بهذا، أنه ليس في الحديث ما يفيد من أن الرجل أفلح مهما فعل من الذنوب والمعاصي، وقد كان سادات الصحابة محافظين على تلك الفرائض، ومع ذلك فقد حذرهم الله تعالى من حبوط أعمالهم بالمعاصي، كمعصية رفع الصوت على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ كما قال عز وجل في سورة الحجرات: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ [الحجرات:٢]، وحتى المبشرون بالجنة كانوا يخافون على أنفسهم من الذنوب والمعاصي، ودخول النار.■

عُقبةُ بنُ عَامر الجُهني

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبلغُ مشارفَ يثربَ، بعد طولِ لهفةٍ وترقبٍ، وها هم أولاء أهلُ المدينةِ الطيبةِ، يَتزاحَمون في الدّروب وفوق سُطوح البُيوت، مُهلِّلين قائلين: لا إله إلا الله، مكبِّرين فرحًا بلقاءِ نبيِّ الرحمةِ وصاحبه الصدِّيق، وها هُنّ صبايا المدينة الصغيرات يخرُجن وفي أيديهنَّ الدفوفُ، وفي عيونهن الشوقُ، مُزغرداتٍ مُرددات:

طلعَ البدرُ علينا من ثنياتِ الوداعْ

وجبَ الشكرُ علينا ما دعا لله داع

وهذا موكبُ الرسول الكريم يَتهادى بين الصُفوف، تحُفُّه المـُهجُ المشتاقة، وتحُوطه الأفئدة التوَّاقة، وتنثرُ حَواليه دُمُوع الفــرحِ، وبسمات السرورِ.

لكنَّ عُقبة بـن عامرٍ الجُهني لم يَشهد موكبَ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ولم يَسعد باستقبالِه مع المستقبلين؛ وذلك لأنه كان قد خَرجَ إلى البوادِي بغنيماتٍ له ليرعاها هناك، بعد أن اشتدَّ عليها السغَبُ - الجوع - وخاف عليها الهلاك، وهي كل ما يَملك من حُطام الدنيا ومالها الفاني؛ لكن الفرحَة التي غمرتِ المدينة المنورة ما لبِثت أن عَمتْ بواديها القريبة والبعيدَة، وأشرَقت في كل بُقعةٍ من بقاعها الطيبة، وبَلغت تباشيرُها عُقبة بن عامرٍ الجُهني، وهو مع غنيماته بعيدًا في الفلواتِ. ولنترُك الكلامَ لعقبة بن عامرٍ ليرويَ لنا قصة لقائِه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال عقبة: قدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا في غنيمة لي أرعاها، فما إن تناهى إليَّ خبرُ قدومه حتى تركتُها ومضيتُ إليه لا ألوي على شيء، فلما لقيته قلت: تبايعني يا رسول الله؟ قال: «**فمن أنت؟**» قلت: عقبة بن عامرٍ الجهني، قال: «**أيما أحبُّ إليك: تبايعني بيعة أعرابية أو بيعة هجرةٍ؟**» قلت: بل بيعة هجرةٍ، فبايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما بايعَ المهاجرين، وأقمتُ معه ليلةً ثم مضيتُ إلى غنمي.

وكنا اثني عشرَ رجلًا ممن أسلموا نقيمُ بعيدًا عن المدينة لنرعى أغنامَنا في بَواديها، فقال بعضُنا لبعضٍ: لا خيرَ فينا إذا نحنُ لم نقدمْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا بعدَ يومٍ، ليفقهنا في ديننا، ويُسمعنا ما ينزل عليه من وحي السماء، فليمضِ كل يومٍ واحدٌ منا إلى يثربَ

وليترُكْ غنمه لنا فنرعاها له، فقلت: اذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدًا بعد آخر، وليَترُكْ لي الذاهبُ غنمه؛ لأني كنتُ شديد الإشفاق على غنيمتي من أن أتركها لأحد.

ثم طفقَ أصحابي يَغدو الواحدُ منهم بعد الآخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويترُكُ لي غنمه أرعاها له، فإذا جاء، أخذتُ منهُ ما سمع، وتلقيت عنه ما فقه، لكنني ما لبثتُ أن رجعتُ إلى نفسي وقلتُ: ويحَك! أمِن أجل غنيماتٍ لا تسمن ولا تغني تفوتُ على نفسك صُحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخذ عنه مشافهةً من غيرِ واسطة؟! ثم تخليتُ عن غنيماتي، ومضيتُ إلى المدينة لأقيمَ في المسجد بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لم يَكن عُقبة بن عامرٍ الجهنيُ يخطرُ له على بالٍ، حين اتخذ هذا القرار الحاسمَ والحازم، أنه سيغدو بعدَ عقدٍ من الزمان عالـمًا من أكابر علماء الصحابة، وقارئًا من شيوخ القراءِ، وقائدًا من قواد الفتحِ المرموقين، ووالِيًا من ولاة الإسلام المعدودين، ولم يكن يَتخيلُ - مُجرد تخيلٍ - وهو يتخلى عن غنيماته، ويمضي إلى الله ورسوله أنه سيكون طليعة الجيش الذي يَفتح أمَّ الدنيا دمشق، ويتخذ لنفسه دارًا بين رياضها النضرة عند «باب توما» أحد أبواب دمشق القديمة. ولم يكن يتصور أنه سيكون أحدَ القادة الذين سَيفتحون زمرُّدة الكونِ الخضراءَ مِصرَ، وأنه سيغدو واليًا عليها، ويختط لِنفسه دارًا في سفحِ جبلها «المقطم» ؛ فتلك كلها أمورٌ مُستكنة محتجبة ومختبئة في ضمير الغيب، لا يعلمها إلا الله.

لزمَ عقبة بـن عامرٍ الجهني رسول الله صلى الله عليه وسلم لزومَ الظلِّ لصاحبِه، فكان يأخذ له بزمامِ بغلته أينما سارَ، ويمضي بين يديه أنى اتجَّه، وكثيرًا ما أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه، حتى دُعي بردِيـفِ رسول الله، ورُبما نزلَ له النبيُّ الكريم عن بغلته ليكون هو الذي يَركب، والنبي عليه الصلاة والسلام هو الذي يمشي.

حَدّث عقبة قال: كنت آخذ بزمامِ بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غاب المدينة (أجماتها ذوات أشجار كثيفة ملتفة)، فقال لي: «**يا عُقبة، ألا تركبُ؟!**» فهممتُ أن أقول: لا؛ لكني أشفقتُ أن يكون في معصية لرسول الله، فقلت: نعم يا نبي الله، فنزلَ الرسول عن بغلتِه وركبتُ أنا امتثالًا لأمرِه، وجعل هو يمشي، ثم ما لبثتُ أن نزلتُ عنها، وركب النبي عليه الصلاة والسلام، ثم قال لي: «**يا عُقبة، ألا أعلمك سورتين لم يُرَ مثلهن قط؟!**» فقلت: بلى يا رسول الله، فأقرأني:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم أقيمتِ الصلاة فتقدَّم وصلى بهما، وقال: «**اقرأهما كلما نِمتَ وكلما قمتَ**». قال عقبة: فما زِلتُ أقرؤهما ما امتدَّت بي الحياة.

ولقد جعلَ عقبة بن عامرٍ الجُهني همَّه في أمرين اثنين: العِلم والجهادِ، وانصرفَ إليهما بروحه وجَسده، وبذلَ لهما من ذاته أسخى البذل وأكرمه.

أما في مجال العلم فقد جعلَ يَعبُّ من مناهلِ رسول الله الثرة العذبةِ حتى غدا مُقرِئًا، مُحدثًا،

فقيهًا، فرضيًا، أي عالـمًا بالفرائض، والمقصود بها هنا علم المواريث والتركات، أديبًا، فصيحًا، شاعرًا.

وكان من أحسنِ الناسِ صوتًا بالقرآن، وكان إذا ما سَجى الليلُ وهدأ الكونُ، انصرفَ إلى كتاب الله يَقرأ من آياته البينات، فتصغي لترتيله أفئدة الصحابة الكرام، وتخشع له قلوبهم، وتفيضُ عيونهم بالدمعِ من خشية الله.

وقد دعاه عمرُ بنُ الخطاب يومًا فقال: اعرض عليَّ شيئًا من كتابِ الله يا عُقبة، فقال: سمعًا يا أمير المؤمنين، ثم جعَل يقرأ له ما تيسر من آي الذكرِ الحكيمِ، وعمرُ يبكي حتى بلَّلتْ دموعُه لِحيتَه.

وقد ترَك عقبة مُصحفًا مكتوبًا بخط يده، وبقي مُصحفه هذا إلى عهدٍ غيرِ بعيدٍ موجودًا في مصرَ، في الجامعِ المعروف بِجامعِ عقبة بـن عامرٍ، وقد جاء في آخره «كتبه عقبة بن عامرٍ الجهني». ومُصحفُ عُقبة هذا من أقدمِ المصاحفِ التي وُجدت على ظهرِ الأرضِ؛ لكنه فُقِدَ في جُملة ما فقد من تراثنا الثمين، ونحنُ عنهُ غافلون.

وأما في مجالِ الجهادِ، فحسبُنا أن نعلمَ أن عقبة بن عامرٍ الجهنيَّ شهدَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحُدًا وما بعدَها من المغازي، وأنه كان أحدَ الكماةِ الأشاوسِ المغاويرِ، الذين أبلَوا يومَ فتحِ دمشق أعزَّ البلاء وأعظمه، فكافأه أبو عُبيدة بـنُ الجراح على حُسن بلائه بأن بَعثهُ بشيرًا إلى عُمر بن الخطابِ في المدينة ليبشره بالفتح، فظلَّ ثمانية أيام بلياليها من الجُمعةِ إلى الجمعة يُغذ السير دون انقطاعٍ، حتى بَشَّـرَ الفاروق بالفتحِ العظيم.

ثم إنه كان أحدَ قادةِ جيوشِ المسلمين التي فتحت مِصر، فكافأهُ أميرُ المؤمنين مُعاوية بن أبي سفيان بأن جعله واليًا عليها ثلاث سنين، ثم وَجَّههُ لغزوِ جَزيرة رودُس في البحرِ الأبيض المتوسط. وقد بَلغ من ولعِ عقبة بنِ عامرٍ الجهني بالجهاد، أنه وعَى أحاديث الجهاد في صدره، واختصَّ بروايتها للمسلمين، وأنه دأبَ على حذقِ الرِّماية حتى إنه إذا أراد أن يتلهى تلهَّى بالرَّمي.

- ولما مرِض عقبة بن عامرٍ الجهني مرضَ الموت - وهو في مصر - جَمعَ بنيه فأوصَاهم فقال: يا بَني، أنهاكم عن ثلاثٍ فاحتفظوا بهنّ: لا تقبلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من ثقةٍ، ولا تستدينوا ولو لبستمُ العباءَ (كساء مفتوح من الأمام) ولا تكتبوا شعرًا فتشغلوا به قلوبكمْ عـن القرآن.

ولما أدركته الوفاة، دَفنوهُ في سفحِ المقطم (جبل مطل على القاهرة من جهة الجنوب قليل الارتفاع) ثم انقلبوا إلى تركته يُفتشونها، فإذا هو قد خلفَ بضعًا وسبعيـن قوسًا، مع كل قوسٍ قرنٌ ونبالٌ، وقد أوصى بهنَّ أن يُجعلن في سبيل الله.

نضَّرَ الله وَجه القارئ العالمِ الغازي عقبة بن عامرٍ الجُهني، وجزاهُ عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء.■

دونالد ترامب ينقل معاركه إلى الفضاء بإعلان "حرب النجوم"

نشرت صحيفة ديلي تلغراف تقريرًا كتبه محرر الشؤون الأميركية، بن ريلي سميث، يقول فيه إن الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، نقل معاركه إلى الفضاء بعدما أطلق برنامج "حرب النجوم" الفضائي الجديد. ويقول الكاتب إن ترامب أعلن الفضاء "مسرحًا جديدًا للحرب" عندما أطلق برنامج تطوير نظام مضاد للصواريخ باسم "القوة الفضائية"، قائلًا إنه يريد تطوير أجهزة استشعار في الفضاء يمكنها رصد أي صاروخ يطلق على الولايات المتحدة، وتدميره في أي وقت وفي أي مكان من العالم... وإنه سيطلب توفير التمويل للمشروع في الميزانية المقبلة. وتعد هذه الأجهزة من بين التعديلات التي يسعى البنتاغون إلى أن يدخلها على النظام المضاد للصواريخ. ويرى الكاتب أن إعلان ترامب يشبه برنامج، رونالد ريغان، الطموح والمكلف في أوج الحرب الباردة. وقد أطلق عليه الساخرون اسم "حرب النجوم"

ونشرت صحيفة التايمز مقالًا تحليليًا كتبه، مايكل إيفانز، يقول فيه إن الولايات المتحدة قلقة من تحول ميزان القوة في العالم، ويقول إيفانز إن سباق تسلح جديد انطلق في العالم اليوم بعد إعلان الرئيس الأميركي عن مشروع إنشاء نظام مضاد للصواريخ في الفضاء، ردًا على تطوير أسلحة جديدة في الصين وروسيا. ويذكر الكاتب أن الولايات المتحدة تبقى أكبر قوة عسكرية في العالم بامتلاكها ١٠ حاملات طائرات تعمل بالطاقة النووية، وقوة بحرية منتشرة في كل مناطق العالم، وقوة مشاة هائلة، فضلًا عن ميزانية دفاع تفوق ٧٠٠ مليار دولار، ويقول إيفانز: "لا يتصور أحد أن تنتصر روسيا أو الصين على الولايات المتحدة في حرب تقليدية بالنظر إلى هذه المعطيات. ولكن الرئيس ترامب لا يرى أن الحرب المقبلة ستكون تقليدية". وهو يرى أن روسيا والصين تراقبان أداء القوات الأميركية وتجربتها في مختلف الحروب التي خاضتها وتخوضها في العالم، وتتعلمان الدروس من ذلك تحسبًا لأي مواجهة محتملة مع أميركا، وتبحثان إيجاد أسلحة أكثر ذكاء وأكثر قوة لمواجهة السيطرة الأميركية والتغلب عليها عسكريًا وسياسيًا... وقد طورت الصين صواريخ مضادة للسفن تجعل حاملات الطائرات الأميركية ضعيفة. ولعل أكبر المجالات التي شهدت تحولًا في ميزان القوة، حسب الكاتب، هي الذكاء الاصطناعي والصواريخ الخارقة التي تفوق سرعة الصوت بخمس مرات، وهما مجالان تقدمت فيهما روسيا والصين، واستثمرت فيهما كثيرًا، وتخشى الولايات المتحدة اليوم هذه الصواريخ؛ إذ ليس لها أي نظام دفاع يقف أمام هذه الصورايخ إذا استعملت ضدها.

الوعي: وهكذا نرى أن الدول الكبرى في العالم تتنافس فيما بينها على تدمير العالم، وعلى استعماره وليس إعماره. وجزء من أهداف الحروب التي تخوضها هذه الدول إنما هو تجربة السلاح وتطويره ليكون أشد فتكًا وقتلًا... هذه هي حضارة الغرب الرأسمالية المتوحشة... إنها حضارة خطرة جدًا حتى على أهلها، ويجب إنقاذ العالم من شرورها. ■

الإمارات تتسامح مع كل الممارسات الدينية إلا الإسلام السياسي

نشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» تقريرًا عن وضع الدين في الإمارات العربية المتحدة. وتحت عنوان «**في دولة عربية: المسيحيون والبوذيون واليهود يصلون**» قالت فيه: «في كل جمعة، وبالطابق الرابع في مركز مؤتمرات بفندق في قلب هذا البلد العربي التجاري، يصل آلاف من المسيحيين للصلاة ساعتين فيما يعتبر أكبر الكنائس سرية في العالم»... القيود على أماكن العبادة في الإمارات العربية المتحدة تم تخفيفها، وقررت الحكومة الإماراتية في محاولة لتسويق صورة «متسامحة» عنها، أن يكون عام ٢٠١٩م هو «عام التسامح» وستظهر الإمارات موقفها من التعايش أثناء زيارة البابا فرنسيس لها في الشهر المقبل، وهي أول زيارة لبابا لشبه الجزيرة العربية. ويتضمن برنامجه المشاركة في حوار للأديان، وقيادة قداس في ملعب كرة قدم سعته ١٢٠ ألف شخص. وتعكس هذه النشاطات انفتاح الإمارات على غير المسلمين، والتي زادت في السنوات الماضية عندما بنت علاقات مع الدول الغربية التي تثمن حرية العبادة، وبحثت عن طرق لإضعاف قوة ما تسميهم «المتشددين الإسلاميين». وبسبب هذا هناك معبد بوذي يخدم السيرلانكيين والكمبوديين والتايلانديين يعمل من داخل فيلا في دبي. وكشف قادة معبد يهودي عن وجوده بعدما كان يعمل بشكل سري. وهناك معبد هندوسي تحت الإنشاء. ففي الإمارات هناك ٤٥ كنيسة تخدم ٧٠٠ تجمعًا مسيحيًا. وعادة ما تقام الصلوات والقداسات يوم الجمعة لأنها العطلة الرسمية في البلاد. ويقول القادة الدينيون المحليون إنهم يحبذون رؤية مواقع أخرى يتم تحديدها لبناء مراكز عبادة جديدة. وبدأت ظاهرة الكنائس في الفنادق بدبي قبل عدد من السنوات وبعدما أصبحت الكنائس الموجودة غير قادرة على استيعاب العدد الكبير من المسيحيين... الإمارات، ورغم تسامحها مع الأديان الأخرى، إلا أنها لا تظهر أي تسامح مع الإسلام السياسي. وتقدم الحكومة الخطب مكتوبة لائمة المساجد. وتضيف الصحيفة أن الحكومة الأميركية كانت داعمة للتسامح الديني في الإمارات والتقى مسؤولون في الخارجية القادة الدينيين المحليين، حسب أشخاص حضروا اللقاءات، وسط جهود لتعزيز تفاهم ديني أحسن عبر الشرق الأوسط وذلك لمواجهة الإرهاب.

الوعي: يمكن القول إن حكام الإمارات هؤلاء قد اجتمع فيهم الشر كله. فليس من كيد على الإسلام والمسلمين إلا إلا كانوا سبَّاقين إليه. فهؤلاء فوق أنهم سرقوا أموال المسلمين من النفط، فقد غمست أيديهم كثيرًا في دماء المسلمين، واشتركوا مع دول الغرب في حربهم على عودة الإسلام إلى الحكم فيما بات يعرف بمحاربة الإسلام السياسي. وها هم يبارزون الله في أمره بالسماح ببناء الكنائس والمعابد للنصارى واليهود والبوذيين والهندوس... رغم تحريم ذلك في الإسلام. فعن عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يترك بجزيرة العرب دينان**» رواه أحمد. وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يبقين دينان بأرض العرب**» رواه البيهقي.■